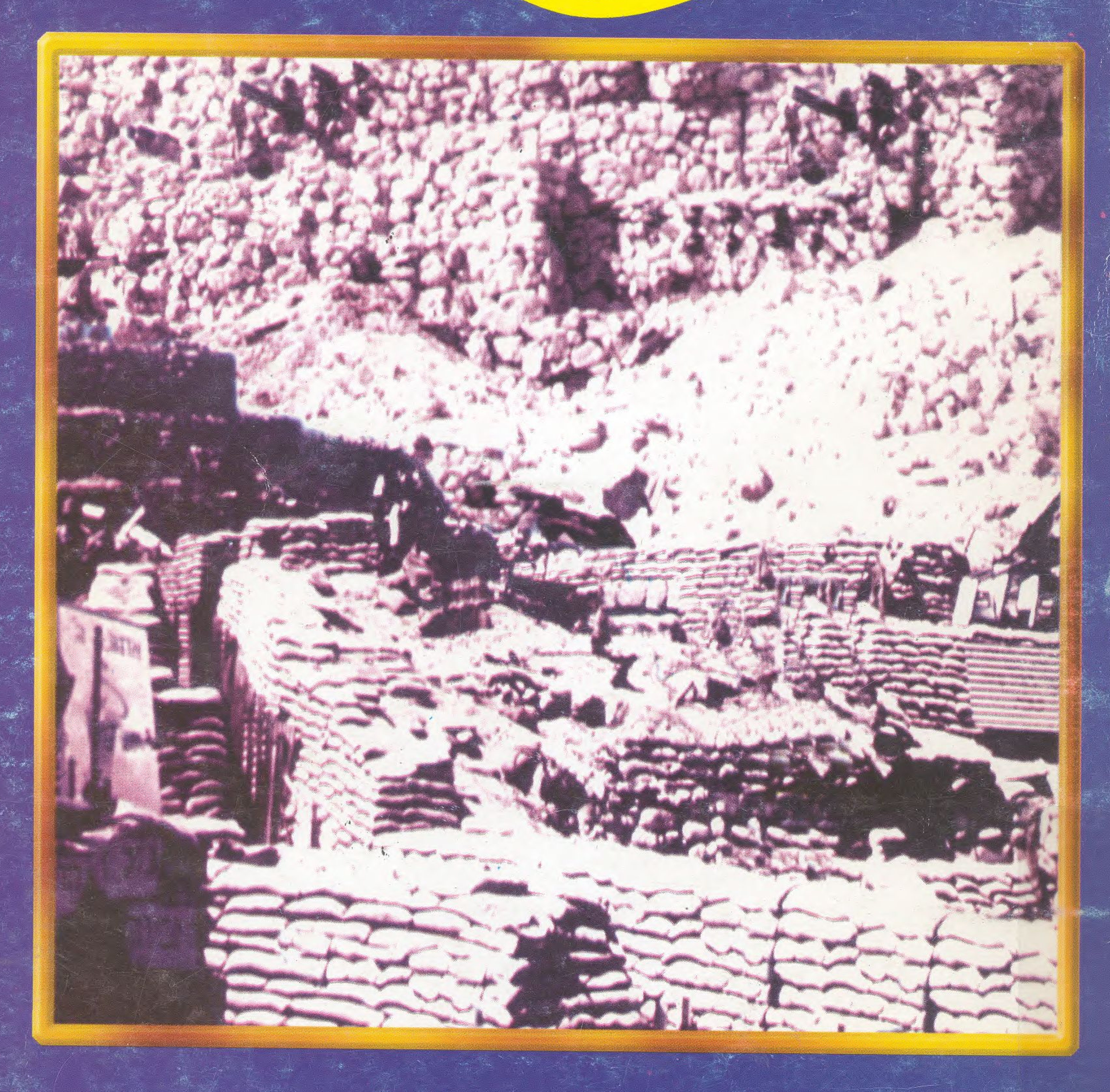
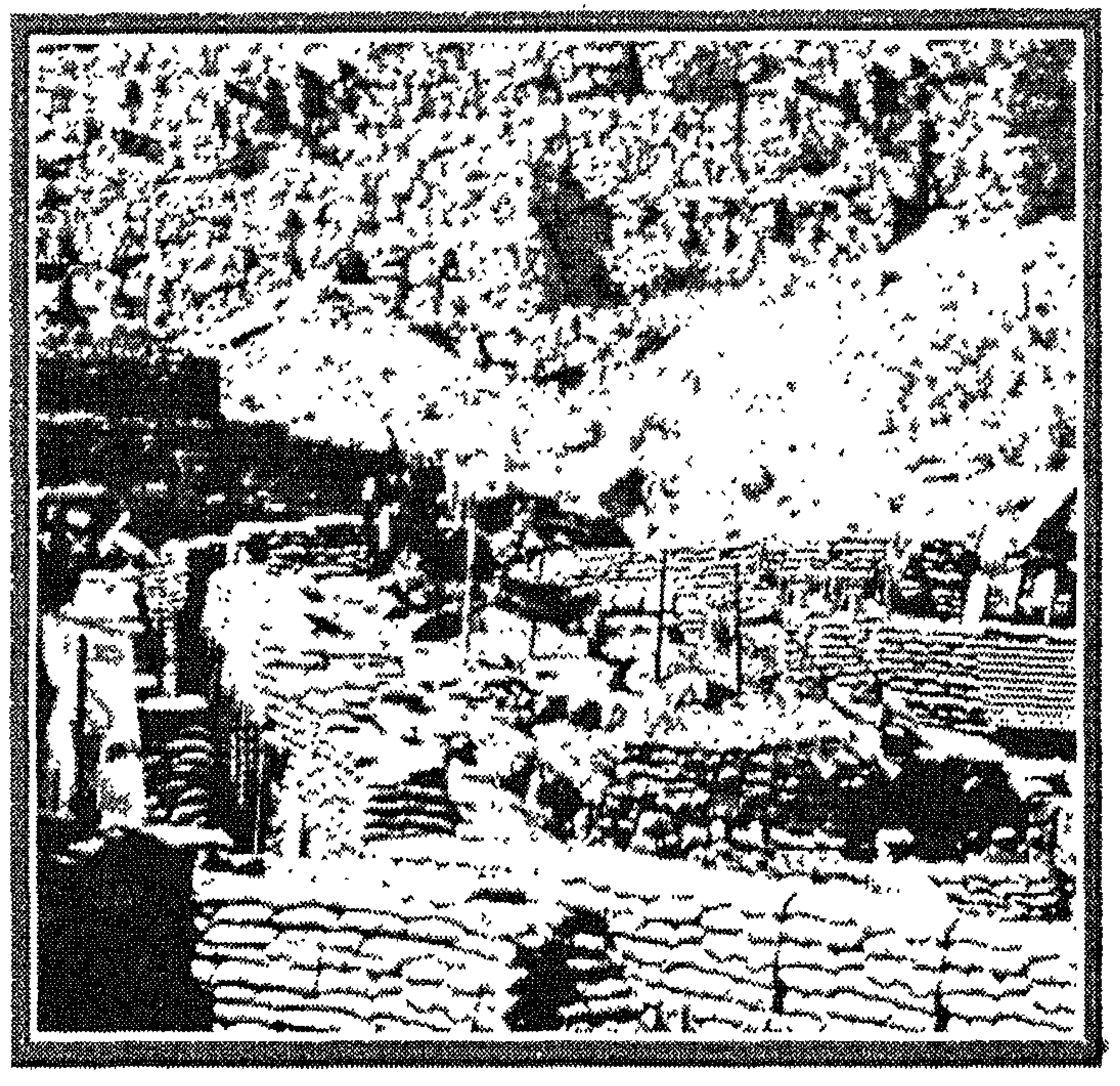
الحصن ١٠١



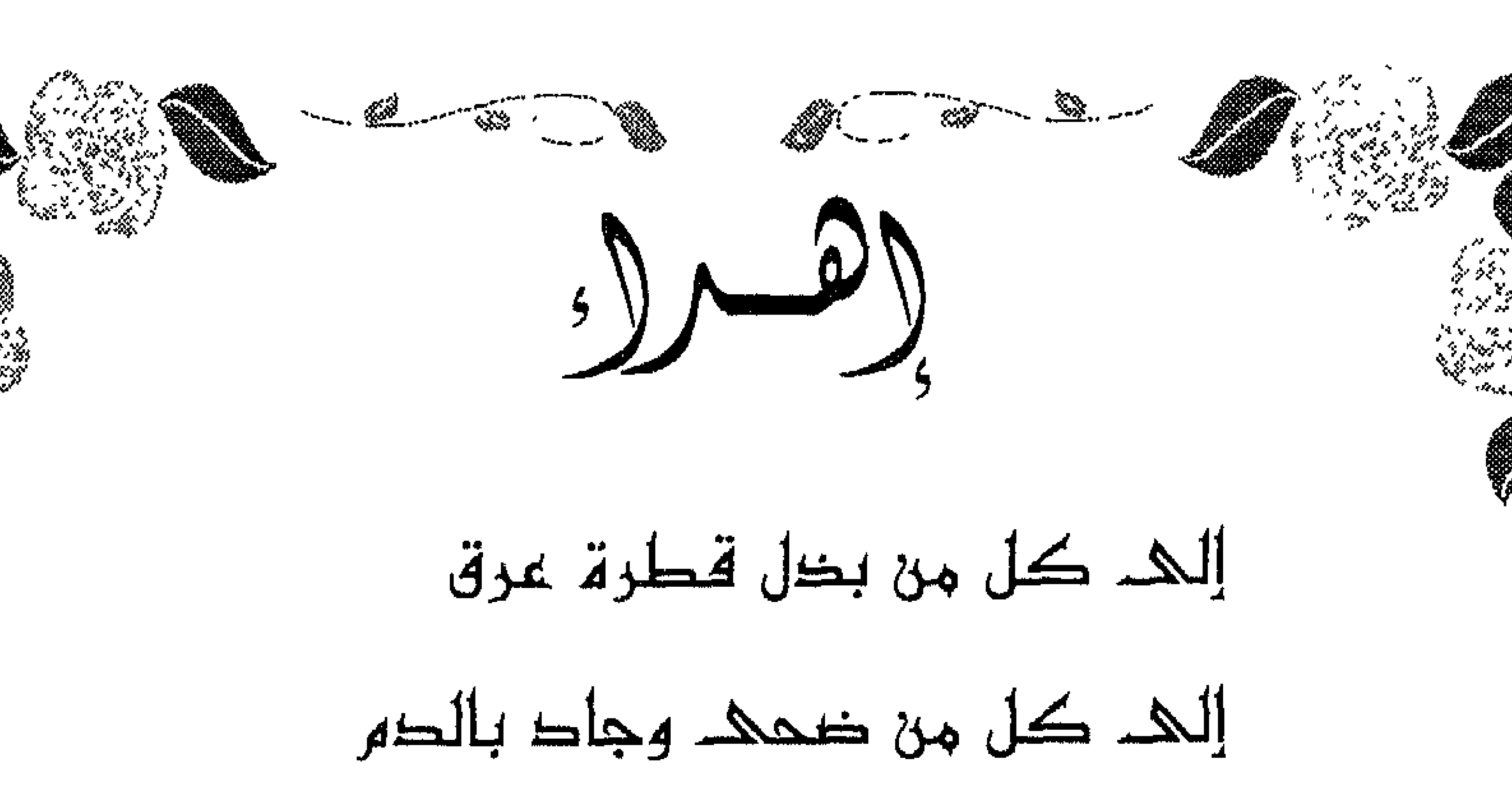
أحمد حسن الشيخ



الحصن ١٠١



أحمد حسن الشيخ



إهداء

إلى كل من بذل قطرة عرق

إلى كل من ضحى وجاد بالدم

إلى شهداء مصر عبر الحروب والأزمان

إلى أعز الرجال ...

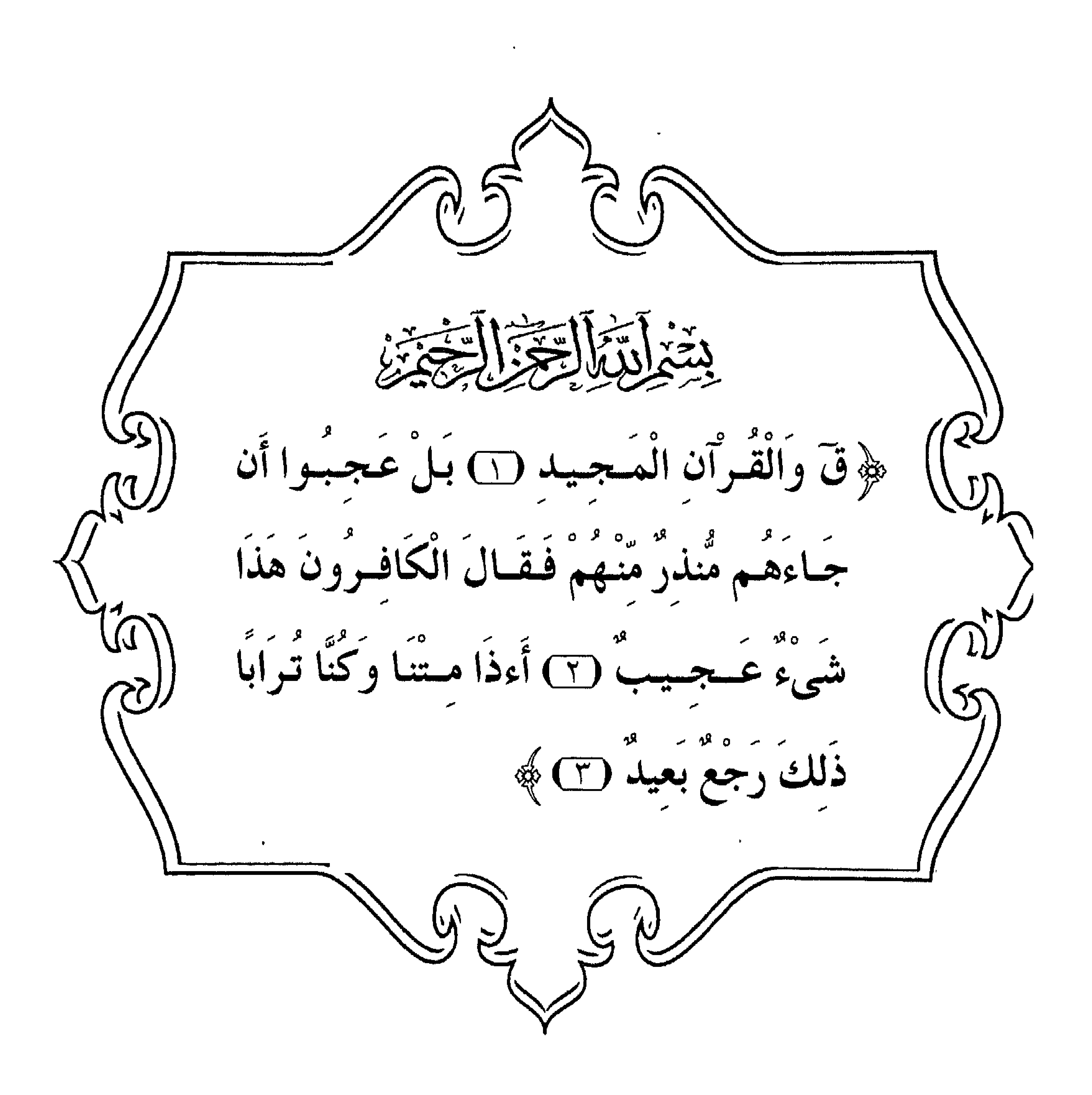
إلى الرجل الذي حارب وقاد شعبه وعبر به الهزيمة إلى النصر

إلي الرجل الذي جلس واتفق مع أعدائه في سلام من أجل السلام

إلى الرجل الذي قتل في حفل عرسه وانتصاره المجيد

إلى رجل الحرب والسلام ... أنور السادات

أحمد حسن الشيخ



صدق الله العظيم

سورة ق : الآيات ١ : ٣

بـلادى وإن جـارت علىّ عزيزة

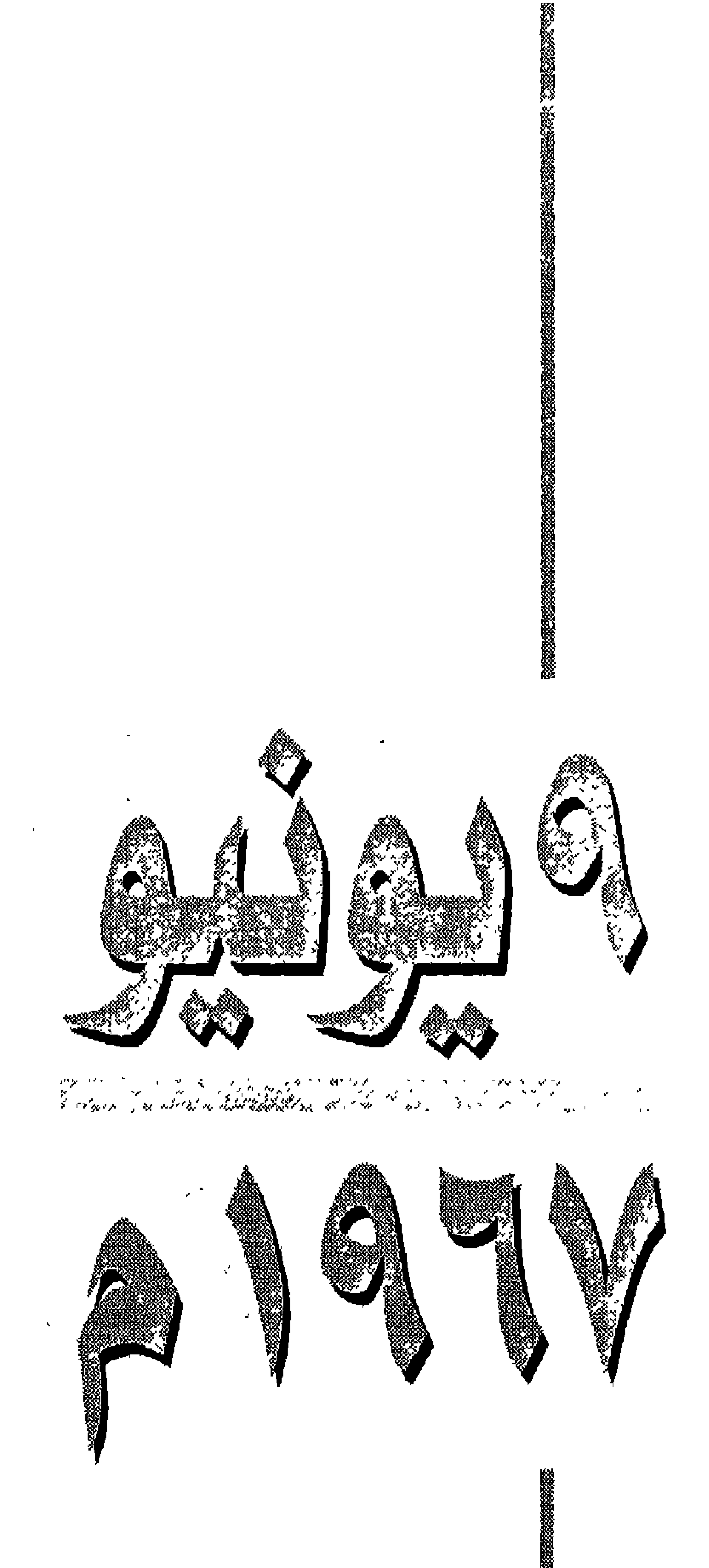
وأهلى وإن ضـنوا علىّ كـرام

● ● ●

لست مؤرخاً لا بالفكر ولا بالمهنة ولكنى أردت أن أعبر عن قصة كفاح ونضال جيش وشعب فيها الحقيقة كل الحقيقة وقد يبلغ الخيال فيها منتهاه.

٩ يونيو

١٩٦٧م





عصر يوم الجمعة التاسع من يونيو سنة ١٩٦٧م وهو اليوم الخامس لنشوب الحرب بين إسرائيل والعرب متمثلين فى مصر وسوريا والأردن، وأخيرا وليس آخراً شعب فلسطين المشرد المطرود خارج أراضيه والتى أصبحت فيما بعد تسمى إسرائيل منذ عقدين من الزمان.

تدفقت الدبابات والمجنزرات الإسرائيلية عبر ممرمتلا فى اتجاه الغرب وهو اتجاه العدو المصرى بأقصى سرعة ممكنة للآلات والمعدات المجنزرة وغير المجنزرة للوصول إلى الساحل الشرقى لقناة السويس.

كانت تبدو هذه القوات الإسرائيلية فى قوة اندفاعها وسرعتها كمثل جيل الرواد الأمريكيين المهاجرين من بلادأوروبا والمتجنسين الأمريكية حديثاً متمثلين فى رعاة البقر فى تسابقهم وتنافسهم للوصول إلى الأماكن المخصصة لوضع الأيدى على الأراضى الجديدة البكر لإنشاء وبناء حضارة أمريكا الحالية.

ولم تلق تلك الدبابات والمجنزرات الإسرائيلية أى مقاومة تذكر من جانب العسكرية المصرية إلا فى بعض المواقع البسيطة والضعيفة حربيا بجهود ذاتية من القادة العسكريين المحليين ويرجع ذلك بسبب الحالة

النفسية التى يمر بها أفراد قوات الجيش المصرى الموجود فى سيناء نتيجة انهياره التام أمام جحافل الجيش الصهيونى.

لا أدرى كيف تم تقييد جيشنا تقييدا تاما لهذه الدرجة من التقيد والإحجام. أصبحنا بين ليلة وضحاها مقيدى الفكر والحركة والإرادة.

كنا نشتاق لقتال العدو الإسرائيلى الذى طالما سمعنا داخل معسكرات الجيش المصرى وخاصة من أفراد التوجية المعنوى وغيرهم من القيادات على جميع المستويات سواء العسكرية أم السياسية، وسمعنا أكثر وأكثر عبر ميكروفونات الإذاعة المصرية بمختلف محطاتها وموجاتها وخاصة إذاعة صوت العرب.

كنا فى استماع دائم لصوت المذيع الأجش وهو يحارب العدو عبر الأثير طوال النهار وأثناء هزيع الليل.

وكنا نسمع ونرى كما سمع ورأى جميع أفراد الشعب المصرى بل العالم أجمع استعراض القوة العسكرية المصرية متمثلة فى تحركات قوات مدرعة من دبابات ومجنزرات وانتقالها إلى جبهة القتال فى سيناء وكذلك فى تحركات سيارات النقل « اللورى » مكتوب عليها عبارة (المجهود الحربى) محملة بالأفراد الإحتياط الذين تم استدعاؤهم للقتال رأسًا وهم يهتفون بالنصر المحقق وإلقاء إسرائيل فى البحر عبر شاشات التليفاز.

هكذا كانت الشعارات وهكذا كانت التحركات العسكرية لا أعلم ولا أدرى كيف انتهت الحرب، ولكنى أعلم كيف بدأت .

بداية بدأت حرب دعائية إعلامية استخدم الجانب المصرى جميع الأسلحة والمعدات الإعلامية والدعائية بعد أن نفخ فى دخان الحرب

فسرعان ما اشتعل وتأجج واستعر .

لقد شنت الدعاية الإعلامية المصرية وبضوء أخضر من القيادة السياسية وبمباركة ومؤازرة من القيادة العسكرية الغارات الجوية بكافة أنواع الطائرات المقاتلة الإعتراضية وقاذفات القنابل الثقيلة وألقيت القنابل والصواريخ وأطلقت المدافع والدانات ذات الحمولات المختلفة والأعيرة المتباينة وأعلن الإنتصار وتم إلقاء العدوالصهيونى فى البحر.

هكذا كان وضعناقبل أن تبدأ الحرب على ساحات القتال وميادين المعارك فى الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧.

قبل هذا اليوم حطمت وكسرت القيادة السياسية المصرية قيود وأغلال الدعاية الإعلامية المصرية فطارت الدعاية وحلقت فى السماء وأصبحت القيادة السياسية وهى على الأرض غيرقادرة أن تلحق بها ونتيجة ذلك أن الإعلام المصرى قاد السياسة المصرية بل تقدم عنهاوسبقها وأخذت تلهث القيادة السياسية خلفه تريد اللحاق به وكبح جماحه.

إلى أن بدأ القتال وحتى أثناء بدء القتال الأوّلى مازالت الدعاية فى الأمان والآمال والأحلام تغط فى سبات عميق.

أما بالنسبة للقوات المسلحة المصرية كانت هناك علاقة صداقة حميمة متشابكة توجت بعلاقة النسب بين القيادة العسكرية والقيادة السياسية.

ونحن لاننسى أن القيادة السياسية عسكرية الأصل والمنشأ ولاننسى أيضاً أن القيادة السياسية والقيادة العسكرية هما من أقطاب وصناع ثورة يوليو سنة ١٩٥٢.

والمفروض أن القيادة العسكرية تعلم جيدًا قوة وقدرة جيشها ومن المفروض أيضاً أنهاتعلم قوة وقدرة جيش أعدائها بالمعنى الواسع لهذه القوة وتلك القدرة.

إن هيئة عمليات أى جيش من الجيوش تصنع وتضع الخطط لكل التقديرات والمتغيرات فى جميع المواقف المتاحة والممكنة وغير الممكنة وأبسط هذه المواقف خطط الإنسحاب.

وإذا كانت القيادة العسكرية المصرية لاتعلم ذلك فالمصيبة أفدح بل أعجب .. ياللهول وياللعجب بعدما فعلته القيادة العسكرية معنا نحن أفراد قواتها فى ميدان القتال نتيجة قرار الإنسحاب ، عقب بداية القتال صباح يوم الخامس من يونيو .

وإنى قادر أن أقول أن القيادة العسكرية المصرية لم تكن تعلم عن جيشها أو جيش أعدائها شيئا يذكر.

ويبقى القادة العسكريون الميدانيون ولا أقول القيادة العسكرية المصرية- ومعهم الضباط والصف والجنود إنهم جميعًا مجنى عليهم.. مجنى عليهم من قيادتهم .. ومجنى عليهم منا نحن المصريين.. ومجنى عليهم من العرب جميعا.. ومجنى عليهم من أعدائنا ومن العالم أجمع.

وينجلى فى رأسى ورؤسنا جميعًا سؤالٌ حائرٌ حيرَة حيرتنا ونحن فى ميدان القتال.. هل الجيش المصرى الميدانى الموجود فى سيناء حارب الجيش الإسرائيلى يوم الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧؟!

لا أقدر أن أجيب . على هذا السؤال ولا الأحداث قادرة على الإجابة عليه ولكن هناك حرب قد نشبت وقتال قد بدأ وجيش قد انتصر.. وجيش

بل شعب - وأقول كلمة الحق أمة بأسرها قد انتكست وانهزمت وأقهرت - وترك فى كيانها ووجدانها كسرًا غير قابل للإصلاح والإستواء مهما طالت الأيام .

لقد كانت حالة الأفراد المقاتلين المصريين بمصر هذا اليوم التاسع من يونيو يرثى لها الضباط والجنود فى قمة الرثاء والإذلال والمهانة وكانوا فى أشكال خمسة :

❖ إما أفراد فارين هاربين هائمين مشتتين أمام الدبابات الإسرائيلية مثل الجرذان عندما تحترق أجران القمح عظيمة المقدار والمحصول.

❖ وإما أفراد مذعورين مرعوبين خوفا من المواجهة القتالية مثل فئران السفينة عند غرقها ومتجهين دائما وسيرا على الأقدام فى معظم الأحوال فى اتجاه الغرب وحتى الذى نجى منهم أصبح من طول مامشى على الرمال لايقدر على السير أو المشى بعد أن تورمت الأقدام وتضخمت وتأبى الخروج من الجوارب والأحذية.

بالرغم أن العدو فى اتجاه الشرق إلا أن المنسحبين متجهون اتجاه الغرب، اتجاه مؤخرتهم ، اتجاه قناة السويس نفس اتجاه اندفاع قوات العدو تاركين الأرض والعتاد ومقدمتهم العسكرية خلف ظهورهم للأعداء غنائم غالية دفع الجيش الإسرائيلى للحصول عليها الثمن الرخيص.

❖ والشكل الثالث أفراد مصابين غير قادرين على المشى والفرار .

❖ وإما أفراد قد تقابلوا واتفقوا مع أفراد من أعراب سيناء على كيفية التخفى والهروب من العدو الصهيونى نظير مامعهم من

نقود أو أشياء ثمينة أو سلاح أومامعهم من ذى الرنين الأصفر والأكثرية من تلك الاتفاقيات أبرمت نظير المروءة والأخوة والوطنية .

❖ أما الشكل الأخير من تلك الأشكال هو القليل بل نادر الحدوث من أفراد الجيش المصرى الذى قاتل العدو بدافع الشهامة والشجاعة والرجولة.

فى عصر هذا اليوم وفى ممر متلا بسيناء كنت على موعد مع القدر وياله من قدر إنه أراد أن أرى أقذر وأقبح وأنذل مذابح عرفهاالإنسان ومافعله الإنسان لأخيه الإنسان عبر تاريخ البشر المديد ومهما قال اليهود ومهما قيل عن الهولوكوست فى الحرب العالمية الأخيرة فإنه يتضاءل ويتصاغر بجانب مذابح ممر متلا القذرة الخسيسة ومافعلوه اليهود فى المصريين.

لقد رأيت وشهدت ومن معى رأى وشاهد ونحن الذين نجونامن الموت أوالقتل أو السحل، مذبحة لم يكتب التاريخ مثيلا لها على مر العصور والأزمان. أتذكر مافعله التتار فى الشعوب فيكون عمل التتار هامشى بالضآلة أن يذكر.. أتذكر ماعمله البربر فلا تسعفنى الذاكرة على التذكر لأن الموجود الآن يمحو مافات ومامضى يمحو مثيله أو شبيهه فى العمل والأفعال.. فى الدنو والحقارة والقذارة.

فى عصر هذا اليوم تم أسر الكثير من أفراد القوات المسلحة المصرية كما تم قتل الأكثر من نفس الأفراد . كنا فى حالة تسليم واستسلام وهوان، وأذكر جماعات ممر متلا بالذات لأننى كنت من تعداد الأسرى فى هذا الزمان وذاك المكان.

لقد رأيت مئات من القتلى المصريين زملائى زملاء السلاح لايشعر بتلك الزمالة إلا من شهد حرب ورأى زميلا له يقتل بجانبه لم يفرق بينه وبين من قتل إلا القدر .

تعالوا معى .. هلموا معاً لكى تروا ما رأيت على رمال سيناء.

مئات من الجثث على أرض الممر الضيق ومئات من الرءوس الآدمية المنفصلة عن الأجساد .. تناثرت آلاف الأيدى والأرجل على التلال وأسفل الدبابات الإسرائيلية وبين جنازير تلك الدبابات علقت بقايا لحم وعظام آدمية شربت ذات يوم من ماء النيل.

تقف سيارة لورى تحمل أرقاما عربية تفيد أنها من القاهرة محملة بالجنود المصريين الإحتياط مكتوب عليها مجهود حربى تقف بالقرب من الممر. الجنود واقفون فى الصندوق الخلفى لايتحركون ولايهمون بالنزول بالرغم من القذف الشديد عليهم بالرشاشات وعندما فتح الباب الخلفى للسيارة تساقطت الجثث التى كانت واقفة متشابكة من شدة الزحام والخوف.

رمال سيناء الحائرة البيضاء أبت أن تشرب وتمتص دماء أصحابها الذكية الحمراء،

ومرت ساعات وأخذت الدماء فى التخثر والتجمد وأخذ لونها يزداد سوادًا حزنا على أصحابها وحدادًا على وطنها المسلوب.

وأخذت الرائحة تفوح معلنة بداية التحلل والتعفن للدماء وأشلاء الجثث المتراكمة.. معلنة انتهاء وتحلل عهد مضى من عهود مصر وهو مايسمى بعهد أهل الثقة فى القيادة العسكرية المصرية.

يالهـا من رائحـة تزكم الأنوف وتذل النفـوس تـزداد مع مـرور الـوقت ولهيب الصيف عفونة ونتانة .

وقـبل غـروب شـمس هذا الـيـوم وقت الأصـيل والسـمـاء بظـلالهـا النحـاسـيـة الحـمـراء عـبـر الأفق الـبـعـيد تـعكس هذا اللون الأحـمـر على الرمـال، والأرض ومـاعليـهـا من دمـاء ومـلابس ملطخـة بدمـاء الجـرحى والقتلى واللحوم البشرية عـارية حمـراء تنزف دماء قـانية حـمـراء وطلقات الرشـاشات ودانات المدافع والـدبابات وما يخـرج منهـا أحمـر مشتعلاً شـديد الإحمـرار .

الكل لونه أحمر ..

أيحق لى أن أقـول إن غـروب ذلك اليوم هو الـغـروب الأحـمـر إنه كمثل الشـروق الأحمـر السوفيتى على شتى بقاع وميادين حيـاتنا العسكرية منهـا والمدنيـة ، آنذاك تم تجـمـيع المتبـقى من الأفـراد المصـريين الأحـيـاء من المذبحة البشعة أحد طرفيهـا أفراد عسكريين مصريين عُزل لايحملون أى سلاح والطرف الآخر جنازير دبابات إسرائيلية فولاذية غربية الصنع.

فى معسكر غرب ممرمتلا للأسرى كان العذاب مجسماً فى أشخاص زبانية الأرض ويدعون أنهم شعب الله المختار.

يعذبون جنسًا آخر من أجناس البشر بعذاب لا أقول مثل عذاب القبر ولا أقـول مثل عذاب السعير يوم الحساب ولكن أقدر أن أقول أنه عـذاب اليهود لأبناء عمومتهم أبنـاء اسمـاعيل وما أدراك مـاعذاب اليهود . أتذكـر صلب السيد المسيح وأتذكـر شـايلوك شكبيـر وأتذكـر أيضـا قتلهم للأنبيـاء بغيرحق عبر تاريخ البشرية المديد .

كان المعسكر منذ ساعات قليلة يحلق فوقه العلم المصرى والآن يرفرف تحت سمائه العلم ذو النجمة السداسية نجمة داوود.

هكذا تكون الحروب وهكذا تكون الهزيمة أو الانتصار.

على ما أعتقد أنه كان معسكرًا يتبع قوات النقل لتخزين وتشوين السيارات وإصلاحها وصيانتها وهذا اعتقاد وليس يقينا لأنى وكتيبتى شرق الممر بالقرب من الحدود .

وهذا المعسكر غرب الممر يتبع لواء آخر وعموما يحاط بالمعسكر سلك شائك كسور مزدوج بين السورين مسافة مترين تقريبا وارتفاعه يبلغ متران كذلك وتبلغ المساحة المحاطة حوالى عشرة أفدنة وبداخل السور الشائك توجد خيمتان الصغرى يسكنها قائد المعسكر برتبة ملازم والخيمة الكبرى يسكنها باقى أفراد القوة الإسرائيلية وعددهم أربعون تقريبا وبداخلها دائما عشرون منهم للراحة أو هروبا من أشعة الشمس الحارقة.

مهمة هذه القوات الإسرائيلية هى إذلال وقهر الأسرى المصريين وسلب إرادتهم وتبديد تفكيرهم وأفكارهم وهى ماتسمى بعملية غسيل المخ.

وللمعسكر باب من السلك والحديد يقف عليه فردان للحراسة بصفة دائمة بداخل السور حوالى أربعمائة من الأسرى المصريين ، وبالطبع كنت أنا واحد منهم.

يتواجد دائما حوالى عشرون فردًا من القوات الإسرائيلية المسلحة يعملون داخل المعسكر بفاصل زمنى حوالى ساعتين اثنتين للبدل والغيار مع الطاقم الآخر الموجود داخل الخيمة الكبرى هروباً وفراراً من شدة مايلاقيه المرء من شمس يونيو وحرارة الصيف.

والعمل داخل المعسكر ماهو إلا أفراد للحراسة وتأمين المعسكر وأفراد للإشراف على طوابير الأسرى وأفراد لإحضار الطعام والشراب وأفراد لإذلال الأسرى المصريين مع قتلهم إذا تطلب ذلك أو إذا ماوصل الإذلال إلى منتهاه.

ونرجع إلى الأسرى المصريين نرجع إلى أنفسنا فقد كان بيننا عدد قليل من الضباط حوالى عشرون ضابطا مثلى وأغلب الأسرى مجندين أو متطوعين أو أفرادًا احتياطيين تم استدعاؤهم رأسا من منازلهم وأعمالهم وحقولهم إلى وحداتهم فى سيناء وعلى أرض سيناء تواجد هذا الجحيم المسمى معسكر تجميع الأسرى .

وعند الأسر لدى اليهود يفضل ويستحسن ألا تكون هناك رتب عسكرية خوفاً من التعذيب والبطش أو الأسر المنفرد للإعتراف على كل المعارف والمعلومات التى لدى الضابط الأسير.

وبالرغم من اتفاقيات چنيف لأسرى الحروب والتى تقضى بإلزام جيوش الدول بمعاملة الضباط الأسرى معاملة الضباط حسب رتبهم فى جيوشهم وبالرغم من معرفتى ومعرفة زملائى الضباط ومعرفة العدو الإسرائيلى بذلك إلا أنه قد تسابق وتبارى الضباط الأسرى لنزع رتبهم من على أكتافهم وألقوها بعيداً عنهم أو دفنوها فى الرمال . أنا شخصيا دفنت رتبتى فى رمال سيناء.

وعندما يشك أى فرد إسرائيلى من قوات الإذلال والقهر لمعرفة من هو الأسير الذى يريد أن يعرف عنه الكثير وخاصة إذا شك أنه ضابط

وغالبا مايكون الشك يقينا بسبب الهيئة أو طريقة الملبس ونوعيته أو حلاقة الشعر وللتأكد يتم الكشف عن ملابس الأسير الداخلية وكان دائما هناك فرق . إن الضباط المصريين يلبسون ملابسهم الداخلية ماركة چيل إنتاج شركة كابو زائعة الصيت والمعروفة عالميا .

كانت الغالبية العظمى من الجنود المصريين غير مؤهلين علميا وكذلك غير مؤهلين عمليا على أى فن من فنون القتال والحروب بل إن كثيرا منهم قد حضر إلى أرض سيناء قبل بداية العمليات العسكرية بملابسهم البلدية من جلباب وطاقية .

لك أن تتصور كيف يعيش هذا العدد من الأسرى المصريين داخل هذا الجحيم اللعين المسمى معسكر الأسرى.

بدلا من السيارات والمعدات المصرية التى كانت بالأمس القريب .

نحن فى شهر من أشهر الصيف الساخن وعلى رمال سيناء الملتهبة دائما وعند وقت الظهيرة الحارق نعيش ونحيا دون ظل أو ظليل طوال النهار وأثناء هديج الليل نلتحف السماء ليلا ونهارا ونفترش الرمال دائما وأبدًا .

وبقدر الإحتياج إلى الظل كان الشوق والحنين إلى قطرة الماء فقلما تواجدت قطرات المياه العذبة لنا داخل هذا اللعين.

إن شمس يونيو ورمال سيناء الناعمة البيضاء قادرتان على حرق وكى الأجسام والوجوه نهارًا والبرد القارس ينخر وينشر فى عظامنا ألمًا وعذابًا عند حلول فجر يوم آخر و لا أقول فجر يوم جديد لأن الأيام كما هى

لاجديد فيها.

وهكذا عُذبنا فى هذا الجحيم بالحرارة والسخونة نهارًا وبالبرودة والصقيع ليلا وطال كل من الليل والنهار حتى حسبت أن الزمن قد توقف وتوسعت ملكات وآفاق خيالى لتأويل اليوم الذى مقداره مائة ألف سنة مما تعدون ، ياإلهى ما أعظمك!

وما أشد قدرتك عندما قلت لنار أبى الأنبياء « يانار كونى بردًا وسلاما على إبراهيم »

عندما تثاقل الليل بالحضور وأرخى سدوله القاتمة السوداء على الجحيم اللعين وعم الظلام التام وتسرب النعاس إلى جفون وعيون غالبية سكان المعسكر من مصريين ويهود وساد السكون الصامت المخيف وتعالت أصوات وصفير الرياح وأخذ شخير النيام يتصاعد وها أنا أقضى أول ليلة من ليالى الأسر .

شعرت برجفة ترج كيانى وأوصالى.. رجفة ترج عروق مهجتى وأخذت دقات قلبى تسرع بصوت مسموع يزداد رنينًا حتى إن زميلى النائم بجوارى قد سمع تلك الدقات.

إنه شعور مخيف فظيع لأى إنسان حى .. كان يتمتع بقدر ولو ضئيل من الحرية، ومابالك بإنسان مثلى فى أول بداية حياته العملية منذ ساعات قريبة كنت من الفرحين المسرورين الذين أصابهم حظ جميل من حظوظ الدنيا وهم الضباط الذين سوف يبنى على أكتافهم وبفكرهم جيش مصر المرتقب الذى طالما أخذ الغالى والنفيس من شعب مصر العظيم على مر

السنين منذ بداية فجرالتاريخ.

أهذا حلم أم حقيقة التى أعيشها الآن ؟!

أين الآمال العظام ؟

أين بدايتى لنيل الرتب والنياشين ؟

أهكذا تكون النهاية بلا بداية ؟!

أهكذا أتجرد من رتبتى العسكرية بدفنها تحت الرمال بدلا من إظهارها مع النياشين فوق الأكتاف وعلى الصدور؟!

أتذكر جيدا منذ أيام .. يوم تخرجى فى الكلية الحربية ضابطا وإذا قلبى يزداد ضجيجا وفجأة انتابتنى هزة شديدة فى جسدى المسجى على الرمال ، انتبهت فإذا بزميلى يشير لى بعد أن تلامست ورجت يده جسدى رجًا ثم يغشى عليه ويفقد الوعى.

تذكرت أنى أسير تحت رحمة الأعداء وهم ليسوا أصحابًا أو أهلاً لها وعقدت العزم على إفاقته بمجهودى منفردا دون مساعدة من أحد، تحركت نحوه وأخذت أصلح من وضعه حتى ألقيته على ظهره، وبأصابعى دلكت صدره وجبهته فعلت كل ذلك وأنا جالس خوفا من وقوفى حتى لا أكون هدفا لقاذفات دفعة رشاش حتى بدأ يتحرك ويتنبه فقلت له :

- : حمداً لله على سلامتك

فرد علىّ بصوت خافت دون أن أراه من شدة العتامة والظلام

- : الحمد لله . أشكرك

- : إيه اللى حصل لك ؟

- : مفيش .. بس مش عارف رأسى تقلت ثم دخت.

- : يمكن تكون ضربة شمس؟

- : مش عارف دى أول مرة يحصل لى كده

- : فيه حاجات كتير اليوم بتحصل لأول مرة

وبعد لحظات من التفكير الصامت نظر إلى وهمس قائلاً:

- : لم يخطر على بالى إطلاقا أنه سوف يأتى يوم أكون فيه أسير

- : ولاأنا.. ده خيال .. ده كابوس

ثم سألنى

- : إسمك أيه ؟

- قدرى .. قدرى محمود .. ملازم مشاة

فرد قائلا :

- : منير خير الله .. ملازم أول مدرعات فى الفرقة الثالثة

- : وأنا فى نفس الفرقة فى اللواء الخامس مشاه ميكانيكى

- : ده كان بجوارنا

صمتنا معا برهة ثم قطعت الصمت وقلت له:

- : ساقى تؤلمنى وقدمى أكثر ألمًا.. عاوز أخلع الحذاء

- : إنت مشيت كتير

- : أيوه مشيت كتير .. مشيت ثلاثة أيام على الرمال وفوق الهضاب

- : أنا ركبت شويه ومشيت شويه

- : إيه اللى حصل لنا علشان يجرى لنا كل ده

- : إحنا اللى عملنا فى نفسنا كل ده

- : إحنا .. إزاى

فاعتدل فى جلسته ومد ساقه اليسرى على الرمال فهو يبدو لى بلا ملامح أو معالم محددة كالأشباح وقال :

- : كان معى ضباط زملائى فى الكتيبة عاوزين يسهروا سهرات حمراء فى تل أبيب بس مش كده وبس كانوا دائما بيقولوا لى إن نساء اليهود أجمل نساء العالم.. جمال إيه وشعر إيه وشياكه إيه.. ياترى حصل لزملائى إيه دلوقت .. كانوا فاهمين إن الطريق مفروش بالورود والرياحين.

- : أنا عاوز أعرف ليه الجيش بتاعنا ماحاربش

- : عرفت إنه صدر له أمر بالانسحاب من سيناء

وتعالى صوتنا شيئا فشيئا فصحت قائلا :

- : انسحاب إيه اللى إحنا فيه ده.. ده هروب وفرار مش انسحاب

فقال بصوت منخفض نوعًا وبإشارة من يده اليمنى طالبًا أن أخفض صوتى ثم قال:

- : شاهدت القائد العام لجبهة القتال الفريق مرتجى ومعه نجله الضابط الصغير راكبين سيارة جيب ومتجهين لقناة السويس عقب بدء القتال

ساد الصمت وبعد قليل قلت :

- : كنا مثل الجرذان .. مذعورين ومشتتين خوفًا ورعبًا عندما تشتعل الحرائق والنيران فى المراعى والحقول

تركنا الكلام وطال الصمت وإذ زاد وجع قدمى ألما وعندما أردت أن أخلع الحذاء من قدمى اليمنى تألمت كثيرًا وحاولت مرة ومرات حتى فزت ونلت هذا الشرف العظيم لمقدرتى على خلع حذائى من قدمى وتبشرت خيرا لأننى منذ أيام وأنا فى قهردائم .

نسيت طعم ولذة الفوز والإنتصار.. منذ ساعات نزعت رتبتى ودفنتها فى الرمال والأن نزعت حذائى الميدانى وألقيت به جانبًا شيئًا فشيئًا أتجرد من عسكريتى

وإذ خاطر فى نفسى يجول قائلاً:

جراح بأطراف الحذاء كلما مشيت

عليها، شكت أوجاعها خريراً

وإذابمنير خير الله يسألنى :

- : كيف حال قدميك ؟

وبعصبية ظاهرة قلت :

- : قرار الإنسحاب من سيناء دون خطة عسكرية للإخلاء وتأمين القوات المنسحبة ماهو إلا قرار خاطىء بل قرار قاتل غير مدروس.

- : القرار مشابه تماما لقرار الإنسحاب من سيناء عقب العدوان الثلاثى سنة ٥٦ وتناست القيادة العسكرية أن الحربين مختلفتان فى الزمان وإن اتحدتا فى المكان

نظرت حولى وقلت :

- : هيهات.. هيهات مايوجد الفرق بين استرجاع أحداث انسحاب سنة ٥٦ وانسحابنا الآن سنة ٦٧ لقد نسيت وتناست القيادة العسكرية المصرية أن انسحاب روميل فى العلمين خلال الحرب العالمية الأخيرة يعد انتصارًا يضاف إلى انتصارات العسكرية الألمانية .

وأن انسحاب خالد بن الوليد فى غزوة مؤتة يعد انتصارًا للمسلمين ويتوج سيف الله المسلول أنه القائد العسكرى الفذ الذى لم يهزم فى فراره أو كراره فى كفره أو إيمانه.

ومرة أخرى دخلنافى صمت لم يطل طويلا ونظرت إليه وأخذ صوتى يرتفع مع كل عبارة أتفوه بهافقلت :

- : أنت تعلم أن هناك من طرق الإنسحاب سياسة الأرض المحروقة وهو أسلوب يتبع عندما يراد للعدو أن تطول خطوط إمداده وتموينه ويستدرج العدو فى التوغل داخل الأراضى واكتساح كل مايلاقيه أمامه حتى يحقق نصر ظاهرى وبالرغم من أن العدو قد احتل أراضى شاسعة إلا أنه لم يستفد منهاشىء بل قد تصبح سبباً مباشراً لإلحاق الهزيمة والعار به على مر السنين وعبر التاريخ ويطبق هذا الأسلوب بحرق كل شىء تمتلكه الدولة المنسحبة لأنها غير قادرة على أن تأخذه معها عند الإنسحاب والتقهقر به أمام جيوش العدو ، وغالبا تحرق وتدمر كل ماهوقادر على إضافة شىء للعدو مثل المصانع والمزارع ومعامل وآبار استخراج وتكرير البترول ومناجم المعادن المختلفة وهو ما اتبعه المارشال الروسى العظيم ميخائيل كوتوزوف عندما أراد نابليون غزو واحتلال موسكو فهزمه كوتوزوف شر هزيمة .

وأخذ منير خير الله يتحدث إلىّ بعد أن اعتدل مرة أخرى فى جلسته فقال :

- : عكس هذه السياسة تماما هى التقهقر والإنسحاب أمام العدو وترك كل ماهو غالى ونفيس للعدو خوفا على مقدرات واقتصاديات وتراث وحضارة تلك الدولة المغزوة ولا أقول تلك الأمة لأن من يتبع هذا الأسلوب وتلك السياسة الإنسحابية يكون محدود الفكر وغير جدير بالزعامة وينقصه الخبرة والبصيرة ولايحق له أن يكون قائد أمة بأثرها وهوما اتبعه المارشال الفرنسى بيتان الذى حكم عليه بالسجن مدى الحياة لأنه جعل باريس مدينة مفتوحة أمام جحافل الغزو النازى إبان الحرب العالمية الأخيرة وانسحابه للجنوب لتكوين حكومة فيشى.. ألايحق لنا أن نقول إنه تفكير أطفال صغار.

وبعد قليل من الصمت نظرت إليه مليا فقلت :

- : عند تطبيق هذا الكلام علينا فى مصر سنة ٥٦ انسحبت جيوش مصر أمام العدو الإسرائيلى وأغلقت قناة السويس بإغراق السفن التجارية الموجودة فى القناة لكن فى حربنا هذه اتبعنا نفس الأسلوب بالرغم أننا كنا على أتم الإستعداد الحربى كما عرفنا عبر الميكروفونات وغيرها وبالرغم أن القيادة السياسية تنبأت بالعدوان الإسرائيلى علينا يوم ٥ يونيو وطلبت من القيادة العسكرية أن تتلقى الضربة الأولى من طيران العدو .

وبسرعة تحدث منير فقال :

- : موافقة القيادة العسكرية على هذا التكليف من القيادة السياسية وهو نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة تثبت مسئولية القيادة العسكرية.

فاقتربت منه أكثر زحفاً على الرمال مع استمرارى فى التحدث :

- : أى جيش فى العالم يقاتل من أجل النصر والإنتصار المبين ولايوجد جيش ينتظر بدء القتال ثم يقاتل بعد ذلك وخاصة بعد أن يتلقى الضربة الجوية الأولى من العدو وغالبا ما تكون ضربة قاصمة موجعة بل ربما تكون قاضية قاتلة وهذا لاينفع فى الواقع ربما قد ينفع فى لعب الشطرنج.

ثم دخلنامع بقية الأسرى فى نوم عميق .

وفجأة سمعت صوت طلق نارى آلى فوق رءوسنا ونحن نيام متلاصقون من شدة برودة ورطوبة الجو، كان هذا الصوت النارى بديلا عن

نفير نوبة الصحيان فى معسكرات الجيوش .

وفى صباح اليوم الأول داخل معسكر الأسر الموافق العاشر من يونيو وعند استيقاظى إقترب منا قائد المعسكر مترجلاً ويديه متشابكة خلف ظهره وبجانبه جندى إسرائيلى برتبة عريف يتحدثان بلهجة عربية شامية وكان القائد يتكأكأ لتفقد حالة الأسرى وسمعت العريف يقول للضابط:

العريف : باقى حوالى أكثر من النصف يا أفندم لم نتعرف عليهم

الضابط : شاؤول.. لاداعى للتكملة لأن عددهم كثير ولن يضيفوا لنا شيئاً مفيداً.

العريف : أو امرك ياأفندم

الضابط : بلاش تعب اللى تشكوا فيه اقتلوه فوراً بطلقة واحدة فقط وبقول طلقة واحدة تكفى فى رأسه لأنه لايساوى أكثر من ذلك.

شاؤول : أوامرك وسوف تنفذ فوراً.

الضابط : أقتل واحد وحتلاقى كله تمام.. هكذاتقدرتتحكم فى المصريين

كانت كلمات القائد بعيدة عن سمعى لأنه ابتعد عنى فى المسافة كما كانت بعيدة عن المنطق لأنه وصفنا بهذا الوصف هكذا سمعت لأول مرة حوار الصهاينة المنتصرين الذين ينتصرون دائما على العرب حرباً وراء الأخرى ولذلك فهم يشعرون على الدوام بالفخر والعظمة

أليس حقًا أنه شعور بالزهو والخيلاء معا؟!

أليس حقا أنه عنجهية وعجرفة صهيونية لاتبالى .. لاتبالى بالأرواح البشرية ولا بالأديان السماوية ولا بالإتفاقيات الدولية !؟

وفى تمام الساعة الثانية عشرة ظهرا عند بدء الزوال هكذا عرفت التوقيت وعندها لايكون هناك ظل لأى شىء حتى سارى العلم المرتفع عاليا لاظل له ، ونكون جميعا نحن المصريون وهم اليهود - بلا ظل متساويين فى هذه الخاصية بعد أن فقدنا وقهرنا وأصبحنا أقل منهم فى كل شىء .

لقد حرمونا من أن نستظل وحرمهم الله من نعمة الظل بقدرته وأتذكر ظل الله يوم لاظل إلا ظله، أتذكره وأقدره تمام التذكر والتقدير خلاف ظل الله يكون هناك السعير المستعر.. يكون هناك كل النار والحرور.

فى تمام الساعة الثانية عشرة اليوم وكل يوم فى هذا السجن اللعين يبدأ طابور الأسرى وفيه نصطف فى طوابير مقيدى الأيدى خلف الظهر وهكذا حالنا دائما ليل نهار.

مقيدين بالحبال كما قيدت أرواحنا بأسرنا وقيد متسقبلنا بحاضرنا.. ثم يصدر لنا الأمر بالإنبطاح على الوجه ورؤوسنا ووجوهنا ملامسة وملتصقة بالرمال المتأججة ناراً وظهورنا متجهة إلى السماء يسعرها لهيب الشمس.

هكذا نمكث فترة الطابور دون أن نتحرك أو نرفع أى جزء من أجسامنا حتى لايأتينا الموت المحقق قذفا برصاصات الرشاشات كلاشينكوف والبنادق الآلية عيار ٦٢ر٧مم روسية الصنع والتى كانت قبل الحرب ملكا لنا والآن فى أيدى أعدائنا أيد يهودية لاتعرف الشفقة ولا الرحمة.

إن السلاح لايعرف من صنعه أو من يمتلكه ولكنه يعرف فقط الأيدى التى تستعمله ويكون لها حاميا ومنفذا ويخيم شبح الموت وتحلق الأرواح التى قدر لها خالقها أن تحلق وتذهب دون عودة.

قبل هذا الطابور وكل طابور وفى كل يوم نكون عدداً معلوماً نحن الأسرى وعند انتهاء الطابور نصبح عددا أقل ، وببداية هذا الموت اللعين المسمى طابور تكون هناك ولادة متعثرة وبانتهائه تولد مواليد جديدة ولاأقول أجنة حديثة الولادة لأن المواليد بلغوا من العمر سن الشباب وهم ماتبقوا من الأسرى أحياء .

ويولد الأسير فى كل يوم مرة بعد عملية ولادة عسيرة مخاضها مقداره ثلاث ساعات بدء من وقت الزوال والظهيرة .

أليس هذا من العجب العجاب ؟!

ويتشدقون بالقصص والحكايات عن الإبادة النازية لجنس اليهود فى الأفران الغازية فى الهولوكوست.

أليس هذا مايفوقه ويعظمه بما يفعله اليهود بالجنس العربى ؟!

سواء كان هذا الجنس إسلامى الديانة أم مسيحى الملة إنه هولوكوست من نوع آخر بل يكبره بشاعة ويعظمه جنوناً .

وطال بى الإنتظار .. للموت والحياة معاً حتى أصبحت لا أفرق بين الحياة والموت.. تمنيت الموت لكى أقهرالواقع .. وتمنيت الإستمرار فى الحياة لكى أقهر نفس هذا الواقع الأليم.

وهكذا أصبحت لا أفرق بين الحياة والموت وأتساءل هل أنا مازلت

حيًا أتنفس الهواء مع المتنفسين؟!

أم أننى قد مت وقبرت وأصبحت ضمن موتى القبور يوم أسرى ؟!

وأسمع هاتفًا بداخلى يعلن أن الموت أرحم مما أنا فيه الآن..

إن الموت مستقبل غيرمعلوم وأنا فى هذا أحيا وأعيش بمستقبل أكثر إجهالا وإظلاما ولكن إيمانى هزم يأسى لأننى أؤمن بالله وأؤمن بوطنى وبنفسى هم الآمال الثلاثة الذين حلقوا فوقى دائما منذ أسرى وأعطوا لى نور الأمل والرجاء.

أشتد ألم ساقى الأيمن بقوة، وجدت جرحا لاأدرى أين ومتى جرحت ولكن جرح كبريائى أكثرألمًا وأشد . تدمى الجروح بالدم ولكن تدمى الأرواح بالأسر.

وفجأة فإذا بزميل أعرفه جيدًا إنه زميلى فى السلاح أخذ يعدو ويعدو مسرعًا فى اتجاه الباب الخارجى للمعسكر . ويصيح بكلمات غير مفهومة وغير مسموعة جيدًا وتُرِكَ يجرى حتى وصوله إلى البوابة الخارجية وعندها كان فى موعد مع حتفه الأكيد والأخير.

لقد أصابه الجنون قبل أن يصيبه طلقات الرشاش والموت وقبل الجنون أصابه الذل والقهر والهوان.

وطال الإنتظار ونحن على هذا الحال وبنفس المنوال ستة أيام.. إنه عذاب النفوس والأرواح قبل أن يكون عذاب الأحاسيس والأبدان.. طابور.. جنون.. موت .. عذاب ، ستة أيام من الجحيم وفقد الأبصار وشى الأبدان

يالها من مأساة بل يالها من وكساة لنا نحن المصريين واليهود فى آن واحد، لنا لما فعل فينا وبنا، ولهم لما أقدموا على فعله ومافعلوه،

فى صباح يوم ١٩٦٧/٦/١٥م تغيررروتين ورتابة النظام اليومى عند يقظتنا وجدنا جنودًا جددًا مع الجنود الإسرائيليين ، وأخذت سيارات النقل فى الحضور وتم شحن ماتبقى من الأسرى الأحياء المتواجدين بمعسكر غرب ممر متلا اللعين ، وانتقلنا إلى معسكر مركزى للأسرى المصريين فى العريش. وهو معسكر كبير يتجمع فيه أسرى المعسكرات أمثال معسكرنا وغيره، انتقلنا فى لوارى مصرية من غنائم الحرب وما أكثر غنائمهم فى هذه الحرب.

فى كل لورى يوجد فى الكابينة جندى حراسة مسلح برشاش بجوار السائق وبينهما صندوق ذخيرة وكل شىء مصرى إلا الجنود الإسرائيليين، وفى الصندوق الخلفى للورى يجلس حوالى عشرون من الأسرى القرفصاء مقيدى الأيدى خلف ظهورهم .

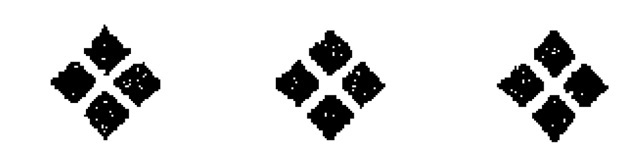
هذه اللوارى كانت ملكًا لأفراد مصريين تم استئجارها للمجهود الحربى المصرى والكثير منها مكتوب عليها من الخلف عبارات « ياناس ياشر كفايه أر» ومنها ماكتب عليها « ماتبصليش بعين رضية بص للى اندفع فىّ » كانت اللوارى تسير فى تشكيل عسكرى منتظم متجهين إلى العريش كما تشير إشارات الطريق بذلك . وتسير سيارة جيب إسرائيلية أمام القول -تشكيل عسكرى متحرك- وأخرى تسير من الخلف وبداخلها قوة حراسة مماثلة للأولى إلا أنه يوجد بالأولى قائد التشكيل.

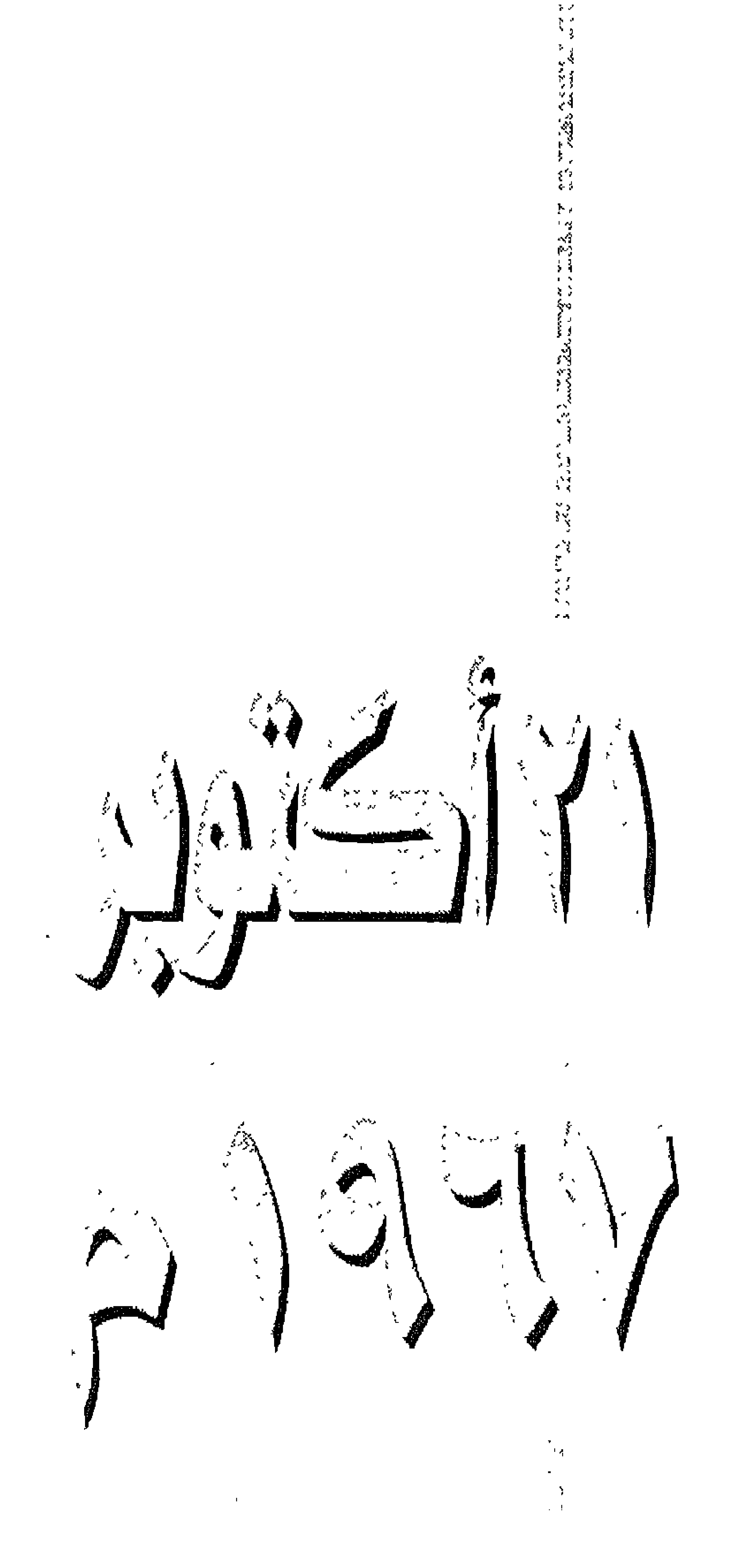
وفى معسكر العريش كانت الحياة تختلف كثيرا عن المعسكر السابق وفيه تعامل الجيش الصهيونى مع الأسرى المصريين معاملة تقترب من معاملة الإنسان للحيوان المستأنس وبالطبع معاملة غير أليفة إلا أنهم فى معسكر غرب ممر متلا وأمثاله كانت معاملتهم معنا نحن المصريين الأسرى كمعاملة الإنسان المستهتر للهوام.

يكفى أن أقول إننا لم نستحم بالماء مدة شهر من الزمان وكان يكتفى برش أجسادنا وملابسنا بالمبيد الحشرى د.د.ت خوفا من انتشار الأمراض وخاصة مرضى الجرب والقراع وحتى لاتنتقل العدوى إليهم.

ويكفى أيضا أن أقول إن شدة احتياجنا للماء لكى نشربه ونرتوى جعلت لنا من البول شرابا.

وأخذت الأيام تمر مرورًا بطيئا، اليوم مثل الأمس مثل الغد وكلما مرت الأيام كلما قل الأمل فى النجاة والخلاص.




٢١ أكتوبر
١٩٦٧ م

١١ أكتوبر ١٩٦٧م

عند سماع صوت طلقات الرشاش صباحا وهو يعنى نوبة صحيان الأسرى من نومهم مثل كل صباح من كل يوم.

وفى هذا الصباح أذن وسمح لنابحلق ذقوننا ذات الشعور الكثة ورءوسنا ذوات الشعور الطويلة المنهدلة بالموس كل زوجين اثنين من الأسرى يتبادلون فى الحلاقة الأول يحلق للثانى ثم الثانى يحلق للأول.

ثم أذن لنا بالإستحمام من مياه البحر بعد تعبئتها وإحضارها فى جراكن صاج كانت تستعمل من قبل فى السيارات بعد ملئها بالبنزين كإحتياط تموينى للسيارات وقام بهذا العمل أفراد منّا بعد أن أخذوا أوامرهم من المشرفين اليهود.

وصرفت لنا ملابس بدلاً من ملابسنا التى أصبحت بقايا ملابس مهلهلة فهى أدنى من أن توصف بالرث والقذارة.

الملابس الجديدة مصرية لم تستعمل من قبل وهى أيضا من غنائم الحرب ومن ثم أصبحنا فى أبهى وأحسن أحوالنا فى المنظر والشكل بعد أن أضيف لنا من نظافة وأخذت روحنا المعنوية فى الإرتفاع مع كل إضافة جديدة تضاف لنا .

كانت هذه المرة هى الأولى والأخيرة لما قدموه لنا من نظافة بما تعنى هذه الكلمة من معان ومفاهيم.

وعند بدء الزوال أى ظهرا - ميعاد الطابور اللعين - حضرت سيارات الصليب الأحمر الدولى إلى المعسكر وهى سيارات تشبه سيارات الإسعاف الحربية.. ركبت أنا وخمسة أفراد من الأسرى فى سيارة وأخذت كل سيارة هذا العدد بناء على تعليمات قائد قوة الصليب الأحمر الذى ركب فى السيارة الأولى من تلك السيارات متقدم القول ، وأخذ القول طريقه إلى بورفؤاد حسب الإتفاق الدولى لتبادل الأسرى كنا حوالى عشر سيارات عليها علامات وإشارات الصليب الأحمر وعند منتصف الطريق تقريبا بين العريش وبورفؤاد تقابلنا مع سيارة واحدة تشبه سياراتنا تماما وعليها نفس الإشارات والعلامات متجهة عكس اتجاهنا أى إلى العريش .

يوجد بها اثنان فقط من الأسرى اليهود أى النسبة ١ : ٣٠ هكذا حسبتها وأنا فى الطريق وعند حساب عدد القتلى من المصريين فى معسكرات الأسر المختلفة تكون النسبة ١ : ٥٠ تقريبا.

أخذ النوم يتسلل ويداعب جفونى التى لم تنم من قبل آمنة مطمئنة منذ بدء القتال ثم استيقظت بعد فترة وجيزة من النوم مستبشرًا منشرح الصدر أتنفس الهواء بعمق وراحة أشعر بالهدوء والسكينة .. أشعر بالسعادة التى فقدتها والتى ظن الكثير بل الجميع أنها لم ولن تعود لى مرة آخرى.

تذكرت طفولتى فى ريف مصر الجميل ومولدى فى أول يناير سنة ١٩٤٨ أيام حرب فلسطين ، والدى الصاغ محمود حسن المصرى ابن عمدة قرية كفر المحروسة التى تبعد عن القاهرة مسافة أربعين كيلومتر والمتخرج

فى المدرسة الحربية العليا سنة ٣٦ والذى فصل قبل تخرجه أثناء دراسته بها - لوصول تحريات تفيد أنه دون المستوى الإجتماعى والمالى المطلوب لأن والده حسن المصرى عمدة قرية ويمتلك أربعة عشر فدانا لاغير .

لقد كان السبب الحقيقى خلاف ذلك أنه قد فقد الوساطة التى أدخلته المدرسة الحربية وعاد إلى الدراسة مرة ثانية بعد رجوع نفس الوسيط مرة أخرى للحكم سنة ١٩٣٦ وبعد الإتفاق والمعاهدة بين حكومة الوفد المصرى الحاكم وقتئذٍ وحكومة بريطانيا العظمى محتلة ومستعمرة مصر المحروسة أنذاك وهوماعرف بمعاهدة ٣٦.

إن أحسن ما اتفق عليه فى تلك المعاهدة هو أنها أتاحت الفرصة لدخول أبناء الطبقة الوسطى إلى صفوف ضباط االجيش المصرى بعد أن كان قاصرًا على أبناء الذوات والأغنياء .. بل أبناء ذوى الرتب والنياشين ووالدى ينتمى إلى تلك الطبقة الوسطى مثل غالبية ثوار يوليو ١٩٥٢ الذين كانوا من نتاج هذه الإتفاقية والقليل منهم أبناء الأغنياء والثروة ولكنهم ينتمون إلى الطبقة الوسطى روحاً وفكراً.

وأثناء مدة فصل والدى عن دراسته بالمدرسة الحربية العليا اشتغل بالزراعة مع جدى فى قريتنا ثم تزوج فيما بعد بنت شيخ البلد بعد تخرجه ضابطا وكان ترتيبى الثانى بين أبنائه أما الأول فهو شقيقى محمد، الذى يكبرنى بثلاث سنوات وهو عطوف كريم يتمتع بقدر كبير من الذكاء وقد تخرج فى كلية الزراعة جامعة القاهرة وعمل بوزارة الزراعة بالديوان العام بالدقى وذلك لتفوقه ونبوغه المشهود .

عام مولدى عرف للشعب المصرى والعامة بأنه سنة حرب فلسطين

وكانت الحرب طرفها الأول جماعات يهودية صهيونية تتكون من عصابات منسجمة غيرمتجانسة - وأنا أعرفهم الآن حق المعرفة - وقوات غير منسجمة متجانسة قوامها خمسون ألف جندى وضابط من جيوش خمس دول عربية طرفاً ثانياً .

قبل هذه الحرب كان اليهود فى خلاف دائم فيمابينهم على مكان إنشاء الوطن القومى لهم .. أرض الميعاد .. كما يدعون دائما عبر التاريخ.

وفى مدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ تم الإتفاق على أرض الميعاد فى فلسطين ووضع اليهود الخطوط العريضة والخطط المرسومة والمحسوبة بدقة متناهية لكيفية إنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين أرض أجدادهم كما يدعون، فيهامجدهم العظيم - أرض داود وسليمان - وينسون ويتناسون كم مكثوا يحكمون تلك الأرض من سنوات ؟

ألا يحق للفرس إذن أن يأخذوا مصر ملكًا لهم لاحتلالهم مصر سنوات؟

وكذلك يحق لكل من الهكسوس والرومان والأغريق هذا الحق العجيب وهذا التملك المريب لكونهم قد احتلوا مصرسنوات عديدة تفوق حكم اليهود لفلسطين على مرور الأزمان والتاريخ وبعد عشرين عاما من هذا المؤتمر أخذوا وعدًا من بريطانيا وهومايسمى بوعد بلفور المشئوم نسبة إلى اللورد أرثر جيمس بلفور وزير خارجية بريطانيا العظمى التى لاتغيب عنها الشمس. يوم صدور هذا الوعد هو نفس اليوم ذاته الذى تقدمت الجيوش البريطانية لغزو واحتلال فلسطين حتى يتثنى لها أن تفى

بالوعد وهكذا احتلت فلسطين مثلها مثل سائر بلدان المنطقة العربية بل دول شتى فى أنحاء العالم تحت مسمى من المسميات الإستعمارية انتداب أوحماية أو وصاية وكان نصيب فلسطين الإنتداب البريطانى هكذا كان الإستعمار ومازال يزين وينمق ويجمل نفسه فى البلدان التى يحتلها مثله كمثل الخمر لها أسماء مزينة ومنمقة ومجملة منها الشمبانيا ومنها الويسكى والبراندى وكلاهما منكرالخمر والإستعمار.

والوعد يعنى ويفيد بأنه عند رحيل بريطانيا عن فلسطين بعد ثلاثين عاما أى بانتهاء مدة الإنتداب سنة ١٩٤٧ تسلم قوات الإحتلال الإنجليزى فلسطين لليهود وطناً قومياً لهم.

وبذلك استمر التخطيط لقيام دولة إسرائيل خمسين عاماً وهكذا كان المخطط والهدف هو إنشاء وبناء دولة من لاشىء من العدم بعد سلب ونهب أراضى دولة موجودة بالفعل مع القضاء على مقومات وشعب تلك الدولة.

وكان هذا البناء وذاك الهدم متلازمان معاً فى زمان ومكان واحد.. على أرض فلسطين .

إن الحكام العرب وقتئذ يفكرون بعقلية أبى جهل عندما أرادوا القضاء على اليهود بقوة جيش واحد حتى تتشتت دماء وأرواح اليهود بين العرب.

وهم لايدرون بفعلهم هذا أنهم شتتوا وبعثروا شعب فلسطين على العرب وغير العرب.

لقـد كـان هنـاك رأى يخـالـف ذلك وصـاحـب هذا الرآى الذى أخـذ نصيبـه وجزاءه مثل مـا أخذه سنمـار بل أكثـر .. أخذ جـزاءه من الحكام العـرب ومن شعـوبهم المضللة المنقـادة بتـأثيـر دعـايتـهم الكلاميـة الـرنانة الجوفـاء نادى صـاحب الرآى الآخـر ومن معـه بتكوين عـصابات فلسطينية على غـرار العـصابات اليهـودية لمحـاربة تلك العـصـابات اليـهـودية على أن تمدهـم الحكومات العربية بالمال والعتاد والسلاح فهم أقدر من بقية العرب بمعـرفـة أراضـيـهم وأولى بالدفـاع عن الأرض والعـرض فنـال جـزاء عـدم الوطنية ومحاربة العروبة بل اتهم بالجنون والفجور.

لقد كـانت جيوش العـرب النظامية تحـارب العـصابات اليـهـودية وإن كانت فى مظهـرها لصـالح الجيـوش العـربيـة إلا أنه عبـر التـاريخ كان دائمـا وأبداً النصرلصالح العصابات على حساب الجيوش النظامية.

وانتصـر التفكيـر والتدبيـر خلال خمسين عـامـا وبتنفيذ من العـصابات اليهودية على خمسين ألفا من جيوش العرب . نتيجة أن كل حاكم عربى من الدول الخمس يعطى جيشه تعليمات قد تكون مخالفة للجيش الآخر بل قد تضـر به أكثـر من أن تنفعـه وكثيـرا مـا وقـع الضـرر، بالـرغم أن هناك قيـادة عسكرية موحدة لاتملك شيئا إلا إسمها فقط ومن القادة العـرب من أراد سـرعـة اغـتـنام الغنـائم مثل مـاحـدث للمسلمـين يوم أحـد آخـذاً من أرض فلسطين ليوسع إمارته لتصبح مملكة ثم توج نفسه ملكا بعد أن كان أميراً.

ومنهم من أراد أن يصـبـح فـاتحـا مـغـوارا عندمـاترك شـعـرلحـيتـه يستـرسل طـولا وتهـذيبـا وظن بذلك أنه سـوف يعطيـه الحق لـيكون أمـيـرًا للمؤمنين. بـانتهـاء حـرب فلسطين وحسب تقسيم الأمم المتحـدة لفلسطين

ظلماً وعدواناً كان نصيب اليهود ٥ر٥٦٪ من أرض فلسطين لقيام دولة إسرائيل والجزء الباقى وقدره ٥ر٤٣٪ يترك للفلسطينيين .

وهكذا انتهى مخطط تقسيم بلاد العرب إلى قسمين منفصلين تماما وأصبح هناك مايسمى بالمشرق العربى وهناك أيضا المغرب العربى وبينهما دولة إسرائيل.

أليس هذا تخطيطا آخر ممن يملكون التخطيط والتنفيذ؟!

لنترك العرب جانبا ونتحدث عن اليهود منذ مؤتمرهم فى « بال » وهم فى هجرة مستمرة من شتى بقاع العالم إلى فلسطين عن طريق منظمات أنشئت لذلك وبتمويل من التبرعات والهيئات والوكالة اليهودية ومن أثريائهم وتعلم شعوب العالم أجمع من هم اثرياء اليهود.

لقد اشترى اليهود المهاجرين إلى فلسطين الكثير من أراضى الفلسطينيين بأغلى الأسعار حيناً وبأقل الأسعار حيناً آخر، اتُبع أسلوب التهديد والوعيد بجميع وسائل السلب والنهب المعروفة لدى البشر والغير معروفة والتى استحدثت على أيديهم الغير طاهرة.

ونصبت مذابح ومجازر حينا ثالثا ولاننسى مذابح دير ياسين بقيادة السفاحين بيجين وشامير.

اختيرت مواقع الأراضى المشتراة والتى وضعت تحت أيديهم فى أماكن مختارة لتحقيق غرضهم المنشود .

ونحن نعلم والعالم أجمع يعلم حرص اليهود على المال والثروات ، ولذلك توضع خططا محكمة لكيفية استرجاع هذا المال المدفوع مرة أخرى لهم لكى يستخدم مرات عدة فى شراء كثير من الأراضى التى وقع عليها الاختيار لبناء دولتهم.

ولليد اليهودية القدرة الفائقة لإسترجاع وإنماء مالها المبتاع ومعه نصيب آخر من مال عرب فلسطين .

ومالهم يسترجع فى جيوبهم وبنوكهم إما كسبًا وإما تعويضا فمثلاً يكون كسبًا بتجارة الجنس وهم يملكون كل مقومات تلك التجارة.. يملكون اللحم الأبيض الناعم الرقيق ذو الشعور الصفراء والشقروات ذوات العيون الزرقاء.. يملكون كل ماهو يصرخ طلبا للجنس والدعارة ، وهم قادرون بألاعيبهم وأساليبهم وإغرائهم فى زيادة أرباح تلك التجارة بل هم بارعون فى ذلك تماما إلى حد الكمال.

وكمثال للتعويض فى استرجاع مالهم لتجارتهم وحساباتهم فى بنوك سويسرا وغيرها هو اللعب بالميسر بجميع أنواعه وأصنافه المتطورة والحديثة وأكثرها شيوعاً الروليت والبكاراه.

وكمثال آخر إقامة مشاريع تجارية مشتركة مع العرب وهى خاسرة دائما بالرغم من أنهم لايخسرون ماليا أو تجاريا أبداً عبر تاريخهم المعروف بل الخاسرون دائما هم العرب.

تم بناء مستعمرات لليهود والمهاجرين على تلك الأراضى التى آلت لليهود بالطرق السابق ذكرها، وتم الإنشاء والتشييد والبناء بنظام تكبير وتعظيم « الجيتو » اليهودى الموجود فى شتى بقاع العالم طالما تواجد اليهود فى جماعات.

داخل تلك المستعمرات اليهودية تم تدريب الشباب والرجال بل النساء تدريبا عسكريا راقيًا ومتقدما قتاليا ، وفى نفس الوقت تم شراء أحدث الأسلحة الحربية بكميات وفيرة ومتنوعة من كافة أنواع السلاح الفتاك والعتاد القوى المتين.

ولاننس على سبيل الخصوص ماتركه لهم الاستعمار البريطانى عندما رحل عن فلسطين من سلاح وعتاد كهدية وهبة لاترد لتحقيق وعد بلفور البريطانى العجوز.

ثم تكون بعد ذلك جهاز منظم بأحدث النظم الإدارية لإعداد الكوادر والقادة فى كافة المجالات الوظيفية لإستلام السلطة من الإستعمار البريطانى أى نواة لقيام دولة حديثة ، وتكون أيضاً جهاز للدعاية لحث شعوب العالم وحكوماته للإعتراف بدولة إسرائيل عند قيامها وبذلك هيأت المناخ المناسب وقامت إسرائيل دولة ذات سيادة معترف بها دوليا وعالميا.

أما فى مصر فكانت قيادة الجيش المحارب فى فلسطين غير مؤهلة علميًا أو تدريبيًا أو عمليًا للقيادة ، بل كانت ذات حسب ونسب مع الذات الملكية فرفعت عاليا وارتقت أعلى المناصب ونالت أرفع الرتب وحازت جميع الأوسمة والنياشين .

نكتفى هنا بذكرقضية الأسلحة الفاسدة إبان قيام تلك الحرب وهكذا كان قدرنا الأليم .

وصلت سيارة الصليب الأحمر الدولى إلى نقطة التفتيش الإسرائيلية الأخيرة على مشارف مدينة بورفؤاد ثم عبرت الحدود العسكرية الحديثة للوصول إلى داخل المدينة .

يالها من فرحة العودة للوطن.. يالها من أحاسيس جياشة تسيطر وتتغلب على كل شيء.

وأمتلأت رئتى بالهواء الجديد عن آخرها ، منتهى الإحساس والشعور الدفين الذى قلّما لا أريد أن أذكره أوأكرره مرة أخرى وخاصة الآن ولكنه يجثم ويطبق على صدرى والذى طالما أبعدته عنى كثيرا ولكنه فى دمى يسير وفى عروقى ينساب.. شعور الأسير الذى عاد من الأسر لوطنه المهزوم.

مشيتى اختلفت فى الخطوة.. خطوات قبل الحرب تاهت وضلت الطريق بين أقدامى بعد الهزيمة .. إنها ليست نفس الخطوات التى كنت أسير بهايوم حفل تخرجى فى الكلية الحربية، كانت خطوات نشوة لتحقيق الأمانى والآمال.. أليس واثق الخطوة يمشى ملكاً؟ كما تغنت أم كلثوم بكلمات إبراهيم ناجى وأنا لست ملكا ولكنى كنت أسيراً.

ركبت سيارة أخرى تتبع الجيش المصرى بعد عمل الإجراءات المطلوبة واللازمة متجهة إلى القاهرة.

اليوم السبت الموافق ١٩٦٧/١٠/٢١ يوم عودتى لمصرمن الأسر.

أليس من حسن الطالع أن يتزامن ويتزامل يوم عودتى هو نفس اليوم الذى دمرت فيه المدمرة الاسرائيلية إيلات بصواريخ وأيد البحرية المصرية الباسلة .

إنه ليس التوافق فى الزمان فقط ولكنه توافق أيضاً فى المكان فى بورفؤاد.

عند عودتى من الأسر سلكنا الطريق البرى الساحلى وهو نفس المكان الذى دمرت فيه إيلات بحريا فى المياه الإقليمية ببورفؤاد.

وتعد المدمرة إيلات أكبر قطعة بحرية فى الأسطول الإسرائيلى آلت إلى إسرائيل كهدية من القوات البحرية الفرنسية إبان العدوان الثلاثى على بورسعيد سنة ١٩٥٦ بعد أن تم الإستيلاء عليها وأسرها من القوات البحرية المصرية وكانت تحمل اسم إبراهيم الأول وأصبحت غنيمة من غنائم العدوان وكانت مصر قد اشترتها من بريطانيا العظمى أيام العهد الملكى المصرى.

فى بورفؤاد تم الإستيلاء عليها.. فى بورفؤاد تم الإهداء بها.. فى بورفؤاد تم إهوائها وتدميرها .

إحدى عشرة سنة استغرقت تلك القصة عمراً.

عودتى من الأسر كانت يوم الردع الأكبر.. عودتى من الأسر كانت بداية الصمود والتصدى.. عودتى من الأسر بداية البناء العظيم .

وفى الطريق إلى القاهرة تذكرت والدتى وهى جالسة وقت المساء.. المساء من كل يوم .. تقص القصص وتعيد لى ولأخى وللسامعين من حولها من الأهل والأقارب وقليل من الجيران قصة يوم مولدى مرات ومرات.. تذكرتها وهى تتحدث بإحساس الحدث وقت وقوعه.. تذكرتهاوهى تشرح الولادة الصعبة العسيرة فى شتاء قارس البرودة وبعد طوال ليل مظلم بهيم.. هكذا كانت ولادتى .. وهكذاكان مولدى.. كانت والدتى الست خضرة التى تدعى بالست أم محمد كما كانت تنادى من الأهل والأصدقاء قد وصلت إلى نهاية حملها.

عند بزوغ فجر يوم جديد من بداية عام جديد وفى الأول من يناير سنة ١٩٤٨ تمت ولادتى بعد طول عناء وبعد أن فشلت حكيمات المستوصف

الخيرى للولادة الموجود بالمركز لخدمة أهالى المركز والقرى التابعة له وبالرغم من استدعائهم بالسيارة لمنزل والدى بوقت كاف قبل وقت المخاض، وبالرغم من أنهم على علاقة جيدة بوالدتى إلا أن الحاجة زكية الداية الموجودة بالقرية الملاصقة لقريتنا أنقذت الموقف بعد حضورها وتمت الولادة تحت إشرافها وأخذت البشارة بكرم وسخاء شديدين من والدى بعد طول لوم وعتاب منها لأنها لم تحضر من أول بدء الولادة وآلامها لأنها تحسب جيداً أيام حمل المولود الجديد لكل ذو حسب ونسب، كما حضرت دون أن تدعى عند ولادة شقيقى محمد منذ ثلاث سنوات .

اليوم هو يوم البحرية المصرية بما فعلته باستحقاق واقتدار. أيحق لى أن أتذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم عند عودة ابن عمه جعفر بن أبى طالب إلى المدينة المنورة بعد هجرته إلى الحبشة يوم بدر (الفرحة اليوم بعودتك ياجعفر أم بنصر بدر).

وأخذت السيارة تزيد من سرعتها كلما قربنا من القاهرة ولكنى أشعر ببعد المسافة وطول الزمن هكذا يكون حال الملهوف دائمًا.

الآن أتنفس هواء وطنى.. الهواء ليس هو الذى أعرفه قبل الحرب إنه الآن تفوح منه رائحة الاحتلال والهزيمة .. تفوح منه رائحة الخزى والعار.. رائحة تطبق على المصريين فتضيق بها الصدور، لايشمها إلا خارجيها ومع مرور الأيام يزداد ويعظم ضيق صدور داخليها كأنما يصّعّدوا فى السماء يوم بعد الآخر.

أخذت استرجع ذكرياتى هروبًا من الواقع الأليم .

تذكرت والدى الضابط الذى فصل أثناء دراسته العليا ثم عاد إليها بعد معاهدة سنة ١٩٣٦ تلك المعاهدة برغم مافيها وبرغم ماقيل ومايقال عنها إلا أنها قد غرست البذرة المنتقاة بعناية فائقة من أفراد الشعب المصرى فى تربة الجيش المصرى الصالحة دائما للوفاء والعطاء، روتها دماء الشهداء العطرة الذكية فى حرب فلسطين وأحداث يناير سنة ١٩٥٢ فى الإسماعيلية وأخذت الشجرة تنمو وتترعرع فى جو أحداث الطلبة والعمال والفلاحين ، ويطل حادث دنشواى المأساوى فى قلب ريف مصر المسالم ومن بعده أحداث ثورة سنة ١٩١٩ ليصنعا معاً سماداً خصباً مفيداً ليغذى جذور تلك الشجرة المورقة والمثمرة دائماً.

إن والدي مثل غالبية أقرانه من الضباط المنتمين إلى الطبقة الوسطى من طبقات شعب مصر، لقد عبروا عنها أحسن وأفضل تعبير، عبروا عنها وعن جميع طبقات الشعب بفكرهم وعقولهم .. عبروا بدمائهم وأرواحهم.. عبروا عن مصر بعد حرب فلسطين بلغة لايفهمها إلا الأحرار.. فكانت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢.

لقد حارب والدى اليهود سنة ١٩٤٨، سنة ميلادى وهو يحمل رتبة صاغ، وها أنا أحاربهم سنة ١٩٦٧ برتبة ملازم . ويالهامن أقدار أن يحارب الأب والأبن نفس العدو إنه العدو الدائم لنا منذ فجر الإسلام وحتى تقوم الساعة إنه يختتن كمانختتن ولايأكل الخنازير ويحرمهاتحريما قاطعا مثل تحريمنا لها ، ولكنه هو العدو اللدود الذى لايؤمن برسولنا الكريم ولابديننا الحنيف.

انه يحمل شعاراً لحدود دولته من النيل إلى الفرات .

هكذا يدّعون للوصول إلى أرضهم المباركة ولشعبهم المختار من ربهم .. ويتجاهلون ويتناسون إن الله رب الناس أجمعين .

يالهامن أقدار أن يحارب الأب والأبن نفس العدو فى زمنين مختلفين على مدى تسع عشرة سنة تخللتها حرب سنة ١٩٥٦ وفيها لم يحارب والدى لأن الحرب قد قيدت بانسحاب القوات المصرية من سيناء بقرار من القيادة العامة وإخلاء سيناء تماما من الجيش المصرى وتركها لليهود بسبب التواطوء المشين بين اليهود وبريطانيا وفرنسا، ولاننسى بعض البطولات التى خط خطوطها وكتب كلماتها بأحرف من نور أفراد قلة من الجيش المصرى وسجل التاريخ أنهم مع الخالدين مثل أفراد قوة معسكر أبو عجيلة.

إن والدى لم يحارب سنة ١٩٥٦ لأن الجيش المصرى وبمرارة أقولها قد هزم عسكريا ولكن القيادة السياسية قد حولت هذه الهزيمة إلى نصر سياسى.

يالها من أقدار أن يهب الله والدى مولوداً من صلبه سنة ١٩٤٨، لقد كنت أنا قدرى محمود هذا المولود عوضا وجزاء لما لقيه والدى وما أصابه من أهوال الحرب وأهوال الحكام العرب وأهوال الأسلحة الفاسدة.

ومرت الأيام والتحقت بالتعليم الابتدائى بمدرسة أحمد عرابى الابتدائية بحى عابدين بالقاهرة، وكان شقيقى محمد بالصف الرابع بها ولما وصلت لنفس الصف بعد أربع سنوات شنت القوات المعادية عدوانا ثلاثيا على مصر فى بورسعيد سنة ١٩٥٦، كانت حربا عجيبة فى كل شىء.. قوات مسلحة لدول عظمى على المستوى العالمى تحارب دولة فى بدء النمو

والازدهار.. فى وطيسها وحقيقتها قوات الظلم والطغيان والجبروت تحارب العدل والحق والضمير.

وانتصر العدل والحق والضمير سياسيا وهو نوع من أنواع الحروب التى خاضتها مصر بل فرضت عليها فرضا، وما أكثر مافرض عليهامن حروب وغير حروب. منذ القدم وفجر التاريخ.. منذ نهاية التاريخ الفرعونى وحتى هذا الزمان ، كتب على مصر ألا يكون لها جيش قوى من المصريين لأنهم خير أجناد الله فى الأرض، صدقت يارسول الله .. خير أجناد الله فى الأرض بسبب ولائهم لأرضهم ووطنهم نتيجة للنيل العظيم وواديه المقدس ودلتاه الغناء، خيرأجناد الأرض بسبب جلدهم وقوة تحملهم وصبرهم ، لقد كان العدوان الثلاثى على مصر يهدف إلى قهر إرادة التحرير الإقتصادى واستعادة السيادة المصرية على كل المقدرات الوطنية متمثلة فى تأميم شركة قناة السويس للملاحة البحرية علما بأن سنة ١٩٥٦ كانت قمة سنوات المد القومى العربى بزعامة جمال عبد الناصر الذى انطلق مع ثورة يوليو سنة ١٩٥٢.

وأتممت المرحلة الإعدادية بمدرسة مصطفى كامل الاعدادية بلاظوغلى وكانت مقرا لإقامة الزعيم عندما كان حيا بيننا يشع جرأة ووطنية وشجاعة نادرة ويفنى حياته من أجل الوطن ، والآن أصبحت مصدراً للإشعاع والتنوير لتعليم الأجيال جيلا وراء جيل علمًا ونورًا وتربيهم على مكارم الأخلاق الحميدة.

ثم التحقت عام ١٩٦٢ بمدرسة سعد زغلول الثانوية بحى المنيرة بالسيدة زينب بالقرب من بيت الأمة بيت سعد زغلول عقب انفصالِ سوريا عن مصر بعد وحدة إندماجية قامت بينهما سنة ١٩٥٨ ألهبت مشاعر الجماهير العربية من المحيط إلى الخليج حماسًا جياشًا، ووطنية فياضة،

كانت وحدة كما قيل عنها آنذاك لايغلبها غلاب ونسوا أن يقولوا إن هذا الغلاب سوف لايأتيها من الخارج لأنها غلبت حقا وقهرت صدقًا من الداخل.. من داخلها.. من أحد شقيها.

فى اعتقادى إنها تلاشت من الوجود وفنيت فناءاً مميتا بسبب القرارات السياسية الإشتراكية التى لاتعرف طبيعة كل شعب على حده، لاتعرف أن المصريين يختلفون عن السوريين وأقصد قرارات التأميم والإصلاح الزراعى فى سوريا سنة ١٩٦١ وهى ماعرفت بالقرارات الإشتراكية، وهكذا يتلاشى كل شىء طالما وقف حائلاً ومانعًا أمام إرادة الشعوب.

هكذا علمنا التاريخ، وهكذا علمتنا الشعوب.. وهكذا كتبت صفحات تاريخ الشعوب .

ألا يكون هناك أكثر تصديقا لهذا الكلام من الواقع الفعلى إن المدة مابين إصدار القرارات الإشتراكية واجبة التنفيذ ومابين الإنفصال التام لم تتجاوز الشهرين فقط من الزمان.

فى مرحلة التعليم الثانوى يبنى العقل والفكر كما يبنى الجسد بنيانه الهيكلى، يزداد فيها الشعور بالذات كما يزداد ويعظم فيها الولاء الوطنية بكل ماتحمل من معانى وقيم وخاصة مع تغييرات الأحداث السياسية وكثيراماتغيرت أحداث البلاد وقتئذ.

وعلى سبيل المثال أحداث اليمن السعيد وماقام فيه .. ثورة للقضاء على حكم الإمام البدر وعائلته التى حكمت اليمن على مر الدهور والعصور بأسلوب ومنهاج العصور الوسطى وبعقول جامدة لاتتغير ولاتريد التغيير.

قامت الثورة من نور وضياء لإهداء السبيل إلى الرشد والرشاد.. قامت الثورة للقضاء على البدر الذى لايحمل من صفات البدر شيئا إلا اسمه ولكنه يحمل كل ماهو نقيض ومضاد لهذا الإسم.. إنه يحمل الفقر والأمراض فى يد وفى الأخرى يحمل التخلف والجهالة ويسيرباليمن فى طريق الظلام والإظلام.

أحداث جسام توالت فى سنوات بسيطة وكما يقولون مرت مرور الكرام ولكنها وضعت شعب اليمن العريق شعب مآرب وسبأ وضعته فى الموضع اللائق والمناسب له فى هذه الدنيا وتحت تلك الشمس .

هذا الوضع لم يتأت إلا بالزعيم جمال عبد الناصر وجيش مصر الباسل فى غضون تلك الأحداث التحقت بالكلية الحربية عام ١٩٦٥ استمرارا لما قدمه والدى اللواء متقاعد محمود حسن المصرى، لمصر وهذا ما أعددت نفسى له منذ الصغر.

أراد القدر أن يتواصل النضال والفداء.. أراد القدرأن لاتنفرط وتتبعثر حبات العقد المكنون.. أراد القدرأن أتخرج فى هذا المحراب لأكمل ماصنعه والدي وقضى فيه عمره. هذا المحراب صانع الرجال والأبطال.. تخرجت فى هذا المفرخ الذى يتطور مع الزمن منذ أن أنشأه محمد على بالغالى والنفيس وأحضر له معلما فذا قديرا هو الكولونيل سيف المدعو سليمان باشا الفرنساوى الذى أنشأ وشيد هذا الصرح العظيم فى أسوان فعل هذا محمد على لكى يبنى مصر الحديثة.

وفي الكلية الحربية نتعلم كيف نكون رجالا. إنها حقا مصنع لتخريج وإفراخ خير أجناد الأرض وها أنا اليوم أتوارى خجلا من الناس فى الشوارع والطرقات.

أتذكر فى التو واللحظة حفل تخرجى.. الحلم الذى تحقق وأنا أقف انتباهاً أمام رئيس الجمهورية القائد الأعلى للقوات المسلحة لأتقلد نوط التفوق والامتياز.

كان هذا اليوم قبل بدء قتال يونيو بأيام قليلة ومابين التخرج والأسر كانت فترة كافية لأصبح ضابطا ومثل كل الضباط تكون هناك الآمال والأمانى والأحلام.

الآمال والأمانى التى سوف تتحقق لتنسج واقعا جميلا. كم تطلعت لأكون عظيمًا .. كم تطلعت لأصبح منقذاً للوطن على قدر جهدى وقدرتى وكم تطلع أهلى لأبلغ المنى والمراد وكم دفعونى دفعًا للأمام والعلا.

ماض جميل وحاضر مرومستقبل مجهول.

هكذا تحدثت عن الماضى الجميل أما الحاضر المر فأعجز عن الخوض فيه لأن مرارته تنتشر فى حلقى وتملأه بل تسرى فى ذرات جسدى وتتدفق مع الدماء فى عروقى مرارة وذل وهوان أما المستقبل برغم ظلامه وإظلامه إلا أنه مازال محلقًا فى الآفاق بعيدًا عن واقع الحاضر الأليم.

ولا أقول مرارة الإستسلام لأننا لم ولن نستسلم مهما جرت بنا المقادير.. ولكن أقول مرارة القهر والهزيمة شعور لايقدر أن يتحمله بشر مهما كانت بشريته ومهما كانت جنسيته، ولكن روح العزيمة والصبر والإيمان - الإيمان بالوطن والإيمان بالنفس تحت مظلة الإيمان بالله - هم شاطئ النجاة وجسر العبور من وحل الهزيمة والعار.

طرقت باب منزلى ، منزل والدى يوم ١٩٦٧/١٠/٢١ وقت تناول أهلى طعام العشاء .. أى فرحة كانت.. وأى سعادة تضاهى هذه السعادة برجوعى إلى أهلى.. رأيت البهجة على وجه والدتى.. شاهدت السرور فى عيون شقيقى محمد تجسم الفرح على وجهيهما وبالسؤال عن الوالد عرفت بل صدمت أنه قد رحل.. رحل بعيدا عن هذه الدنيا.. رحل إلى العالم الآخر.. رحل فى فترة أسرى ياله من قدر أن أعود اليوم إلى وطنى بعد أسرى وأن يرحل والدى بالأمس القريب عنه وعنا إلى الأبد.

وأختلط الفرح بالدموع وتعانقت الحسرة مع السرور وقبّلت اللوعة الهناء.

قالت والدتى بعد طول العناق والبكاء وبعد أن هدأت من الكلام غير المفهوم أو المسموع منها أومن شقيقى محمد:

- : حمدا لله على سلامتك يا ابنى والله وحشتنا كثير ياقدرى ياأبنى.

وقبيل أن أرد السلام قال شقيقى بلهفة وبسرعة فى نطق الحروف:

- : لك وحشة كبيرة جدًا يا أخويا.

يتكلمان فى وقت واحد وتسابقا بالعناق والكلام وأختلط كل شىء معا.. الأحاسيس تجسدت فى القبلات والشعور تجسد فى البكاء.

ودخل الدفء المنزل مرة أخرى بعد طول غياب وأخذ الحب والإيثار يعم المنزل رويدا رويدا. بالرغم أننى مازلت أفكر فى رحيل أبى عن دنيانا وقت

غيابى وكنت أشعر بتضارب فى الشعور ، يتغلبنى الشئ ونقيضه معا، أشعر بالفرح والحزن مجتمعان ، أشعربالهم والسرور محلقان، هكذا أصبح شعورى دائما. ولكن باقى الأسرة سرت وفرحت برجوعى إليها.. لحظات لن أنساها مابقيت على قيد الحياة.. سوف أحسها فى الحياة الأخرى عند حياة الخلود.

ثم أخذت مكانى على مائدة الطعام فى نفس مكان قعودى دائما لأكل مع أهلى خيريلدى بعد طول غياب، شاء القدر أن أجامل أهلى فى طعامى، أن أتقدم اليه وأنا لا أريده والذى طالما اشتقت إليه وإلى طعمه اللذيذ والمذاق المستطاب.

أكتب علىّ أن لا أتذوق الطعام بعد الأسر أم كتب علىّ عدم الهناء وإذا بصوت والدتى تناديني:

- : قدرى يا ابنى خذ من إيدى الحتة دية.
- : وحشانى قوى ياأمى ووحشنى كلامك وطعامك اللذيد.
- : ياابنى أنت اللى واحشنى وواحش أهلك.
- : أنتم فى دمى وقلبى، لم تفارقونى فى أى لحظة.

محمد: أنت رجل ياقدرى وكنت حاسس أنك حترجع لنا تانى وخاصة بعد رحيل والدنا.

نظرت إليه فقلت :

- : راجع لكم تانى على الدوام مابقيت حيا .. الله يرحم والدنا

الوالدة : خلىّ اللى راح راح وابدأ من الأول ياابنى، إبدأ من اللى انتهى إليه أبوك

- : لازم يا أمى أتعلم من اللى راح علشان أقدر عليه إن أتى مرة ثانية

الوالدة : كلامك عاقل دايمًا ياابنى .. الله يحميك من كل ردى

محمد : خلينا دلوقت فى الأكل ياجماعة علشان قدرى الظاهر عليه جوعان ووحشه أكلك ياأمى.

نظرت إليه وكلى ألم وحسرة قائلاً:

- : أنا جوعان - محتاج كل شىء .. وكل شىء ليس له طعم ولكنى محتاجه

عدت إلى عملى بالقاهرة وبعد فترة انتقلت للعمل فى إدارة النوادى للقوات المسلحة.

وعند أول زيارة لقريتى بعد عودتى علمت من شقيقى محمد أنه أنشأ مشتلا يربى فيه النباتات المختلفة منها للزينة ومنها للظل وأخرى للإثمار ورابعة كمصدات للرياح.

يوجد فى المشتل شتلات صغيرة لشجيرات وأشجارمختلفة الأصناف والأنواع.

كنت دائما فى زيارة للمشتل كلما حضرت إلى القرية بل أقول إننى كنت فى الغالب أحضر إليه لأنه يتمتع بموقع ممتاز تفوح منه وله رائحة الفل

والورد والياسمين.. رائع المنظر على جانب نهر النيل العظيم ، مظلل بأوراق خضراء دائمة الخضرة والنضارة ، لطيف الطقس يوجد به أحواض للزهور على درجة عالية من الرقى والهندسة . هكذاكان شعورى به دائمًا.

ذات مرة من الزيارات الأولية تواجدت وقت زراعة شجيرة صبار جميلة المنظر وضعت بمدخل المشتل.

وعند كل زيارة كنت أقف أمام هذه الشجيرة أتأمل أوراقها الإبرية وسيقانها الخضراء، أتأمل فروعها ونموها.. وهكذا ارتبطت بها وداومت عند كل زيارة أن أقدم لها الماء لكى أروى عطشها ولكى أستزيد نموها وطلبا فى كبرها وتشعبت أفرعها العديدة، وأخذت الشجيرة فى النمو والتفرع حتى أصبحت فى غاية الجمال والروعة وصار الصبر والصبار مهاب النظرة عظيم الهيئة .

وذات زيارة من زيارات المشتل المتكررة كنا جميعا أسرة محمود المصرى أنا وزوجتى أمل السورية الأصل، ووالدتى وشقيقى محمد وزوجته ليلى وأولاده هشام وعمرو. كانت يوم الجمعة الموافق ٢٨ من سبتمبر سنة ١٩٧٣ وأقترب عمرشجيرة الصبار الجميلة من ست سنوات وفى هذا اليوم وهو يحمل لنا ذكرى أليمة ذكرى الانفصال سنة ١٩٦١ و ذكرى موت عبد الناصر سنة ١٩٧٠ وعند حلول الليل تجمعنا معا فى حجرة المعيشة وكانت ليلة منعشة باردة من ليالى الخريف.

فى تلك السهرة كان كل فرد منا يتحدث مع الجميع بصوت مسموع وهو لايدرى أنه يتحدث مع ذاته، خرج كل الكلام أحاسيس ولم يخرج من الفم واللسان وكان خروجه من النفس والوجدان.

نظرت الىّ الوالدة فقالت :

– : أبوك ياقدرى عمل اللى قدر عليه.. ولم يقصر فى شىء بالنسبة لنا جميعا حتى أنت لما كنت فى الأسر فى أول الأمر قالوا له إن إبنك قد استشهد.. كتم السر فى نفسه أكثر من ستة أيام.. أبوكم كان مثل الجبال لم يبح بالسر طوال هذه المدة.

وأخذ محمد خيط الكلام وأخذ يسترسل فى الحديث :

– : أبونا نفى موضوع استشهادك من المبدأ وقال لنا بعد ذلك لما اتغير الموضوع إلى الأسر إنه إحساس لدرجة اليقين.

أخذت نفس طويلاً لأبدأ الحديث :

– : برغم ما لقيته فى عيشتى وأسرى وبرغم بعدى عنكم وعن شعبى كنت حاسس بأننى سوف أحارب اليهود مرة أخرى لأننالم نحاربهم حتى الآن.

قاطعتنى والدتى فى الحديث وقالت :

– : كان والدكم بيقول ويردد دائما أننى ولا قدرى ابنى وفّينا حق بلدنا وشعبنا ولذلك استبعد استشهادك قبل أن تحاربهم.

محمد : أنت يا أخى حاسس بتلك الأحاسيس ولكن الشعب والعالم أجمع عارف إننا حاربناهم وهم هزمونا.

زوجتى : صحيح الموضوع كده .. لكن لاننسى أن لنا جولة ثانية بل هى الرابعة من الجولات.. ولكن لابد منها وهى أكيدة وربما تكون هى الجولة الأخيرة.

الوالدة : إن شاء الله ينتهى الموضوع على خير بس من غير حرب تانى.. إحنا شبعنا حروب وقتال وموت.

عند سماعى هذا الكلام من والدتى أخذ الدم يتدفق إلى أطرافى ووجهى وأخذ العرق يتصبب على جلد يدى ووجهى بالرغم من برودة الجو وأخذ الكلام ينطلق من فمى سريعا :

- : إزاى ده يحصل من غير حرب !!. لازم حرب ولابد من الحرب.

الوالدة : أنا شفت الويل من الحروب منذ ولادتك ياقدرى يا ابنى وأنا فى حرب مع اليهود والأعداء.. أقصد مصركلها

نظرت إليها ملياً وقلت بشىء من الهدوء :

- : يا أمى « ما أخذ بالسيف لايرد إلا بالسيف » دى آية موجودة فى التوراة عند اليهود أنفسهم ونحن نقول « ما أخذ بالقوة لايسترد بغير القوة»

محمد : متى الحرب اللى إنت بتتكلم عنها ياقدرى مصر كلها تريدها على أحر من الجمر

زوجة محمد : بعد ماينصلح حالنا ونصلح أنفسنا نقدرنحارب مرة أخرى

والدتى : يارب ينصرنا

قمت من مجلسى وتوجهت إلى أمى وقبلتها وقلت :

- : عندما أراد صلاح الدين الأيوبى تحرير بيت المقدس من الصليبيين صاح فى قومه قائلا لا أريد دعواكم ولكن أريد سيوفكم .

أمـــل : « إن اللــه لا يغير مابقـــوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ».

صدق الله العظيم.

نظرت إليهم جميعا وأخذت عينى توزع النظرات عليهم بالتساوى ثم قلت:

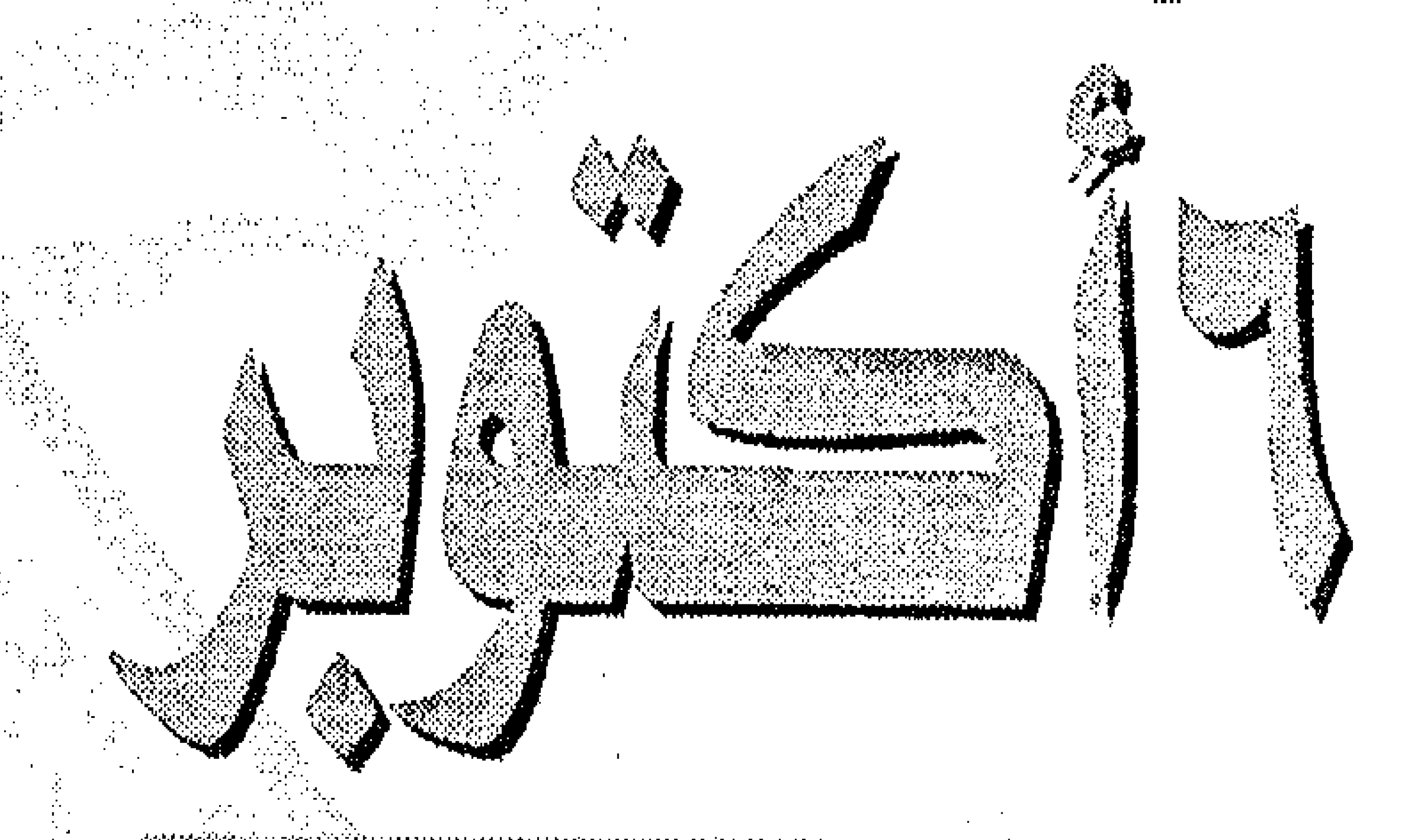
- : قبل حرب ٦٧. علمت أن بعض زملائى معهم أصناف من الخمرمثل الويسكى وغيره علشان يشربوه نخب انتصارهم على اليهود يشربوه فى تل أبيب بعد سحق اليهود ورميهم فى البحر،.

أمـــل : أنت ياقدرى عملت كده مثلهم .

محمـــد : قدرى رجل عارف ربنا كويس جداً.

،أخــذ الكلام يتطرق إلى الحكايات والروايات التى ســمــعت من الجيران والأقارب والاصدقاء كانت كلهاتدور فى نفس الموضوع، موضوع الحرب والهزيمة النكراء.. موضوع الإنتظار والحرب القادمة.. موضوع قدرة جيشنا وقدرة جيش الأعداء.. موضوع الجيوش العربية ومابهامن بطولات سواء كانت حقيقة أومن وحى ونسيج الخيال.. كثيرمن الحكايات والروايات.

وتناولنا طعام العشاء معًا وأخذ كل منا سيارته للعودة إلى القاهرة هو وأسرته.. أخذت والدتى معى لكى تشرفنا بزيارة منزلى منزل الزوجية الجديد بعد أن تزوجت من أمل .



٦ أكتوبر

١٩٧٣م

أكتوبر ١٩٧٣م

فى ملحمة الملاحم.. فى يوم الإنتظار .. اليوم الموعود والمشهود يوم تناغم العسكرية المصرية أفرادها مع عتادها الحربى .

يوم التوافق والإنسجام للجيوش العربية بعضهم البعض مع الكون بأسره.

يوم بدر الثانية بعد بدر رسول الله ﷺ .

عزفت الأنغام وقرعت الطبول ودفت الدفوف ثم قرقعت الأسلحة لقيام حرب الأمانى والآمال .. حرب مصالحة النفس وإثبات الذات.

حرب السادس من أكتوبر - العاشر من رمضان - حرب يوم الغفران - حرب يوم كيبور - حرب العبور

حرب واحدة بأسماء كثيرة بين العرب وإسرائيل بعد حروب ثلاثة .

فى تمام الساعة ١٣٥٥ أى الثانية إلاخمس دقائق من بعد ظهر السبت السادس من اكتوبر ١٩٧٣ م الموافق العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هـ حجبت الشمس وغيمت السماء دون سحب على الضفة الغربية من قناة السويس بالرغم من صحو الجو وسطوع الشمس فى عنان السماء ، لقد كانت غمامة الطيران المصرى محلقة ومتجهة إلى الضفة الشرقية لقناة السويس عابرّة مجرى القناة المائى بطول مائة وثمانون كيلو متراً

بقيادة لواء طيار محمد حسنى مبارك القائد الجسور الذى أخذ على عاتقه مسئولية الضربة الأولى للطيران - وهى أول مرة تنفذ فى تاريخ حروبنا مع إسرائيل - بكل مايملك من طائرات وبكل ماالديه من أكفأ الطيارين المصريين نسور الجو والسماء على حق وبحق . عابرًا مجرى القناة المائى وهو فى الحقيقة عابرًا لمحو آثار هزيمة وعار ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ عابرا إلى التاريخ ليكتب بدماء وأرواح خير أجناد الأرض صفحات مجيدة وخالدة، وبالرغم من أن الطائرات كانت تحلق بالقرب من سطح الأرض هروبًا من شاشات رادارات العدو إلا أنها كانت عابرة إلى المجد والعلا.

شاهدنا الحرائق مشتعلة فى الضفة الشرقية من القناة ثم سمعنا الإنفجارات لهذه الحرائق وغيرهاالبعيدة التى حجبت عن الرؤية بالتلال المرتفعة أوبخط بارليف عالى البناء ثم استنشقنا رائحة البارود ثلاثة أحداث مروا فى ثوان معدودات ولكنهم كانوا قادرين لإشعال وتفجير أرفع المعانى والمشاعر والمقدرات المتواجدة والساكنة فى عقولنا ونفوسنا والقاطنة فى قلوبنا وأجسامنا ووصل الاشتعال إلى درجة التوهج والضياء ليهدى لنا السبيل بعد أن ينير لنا الطريق ، تلك المعانى والمقدرات اختلطت وامتزجت معًا داخلنا نحن أفراد القوات المسلحة المصرية.. ضباط وجنود مصر ولتنطلق صيحة « الله أكبر .. الله أكبر » مثل أسلافهم الأوائل فى بدر بكلمة السر الربانية « أحًد - أحًد» ومعهم الله

القادر المقتدر جل شأنه فى هذه وتلك.

وهاهنا نحن أقباط مصر مسلمون ومسيحيون نحارب العدو الصهيونى اليهودى ومعنا الله جل جلاله كما حارب رسول الله محمد ﷺ ومعه المهاجرون والأنصار يهود المدينة المنورة وماحولهامن قبائل يهودية منهابنى قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع .

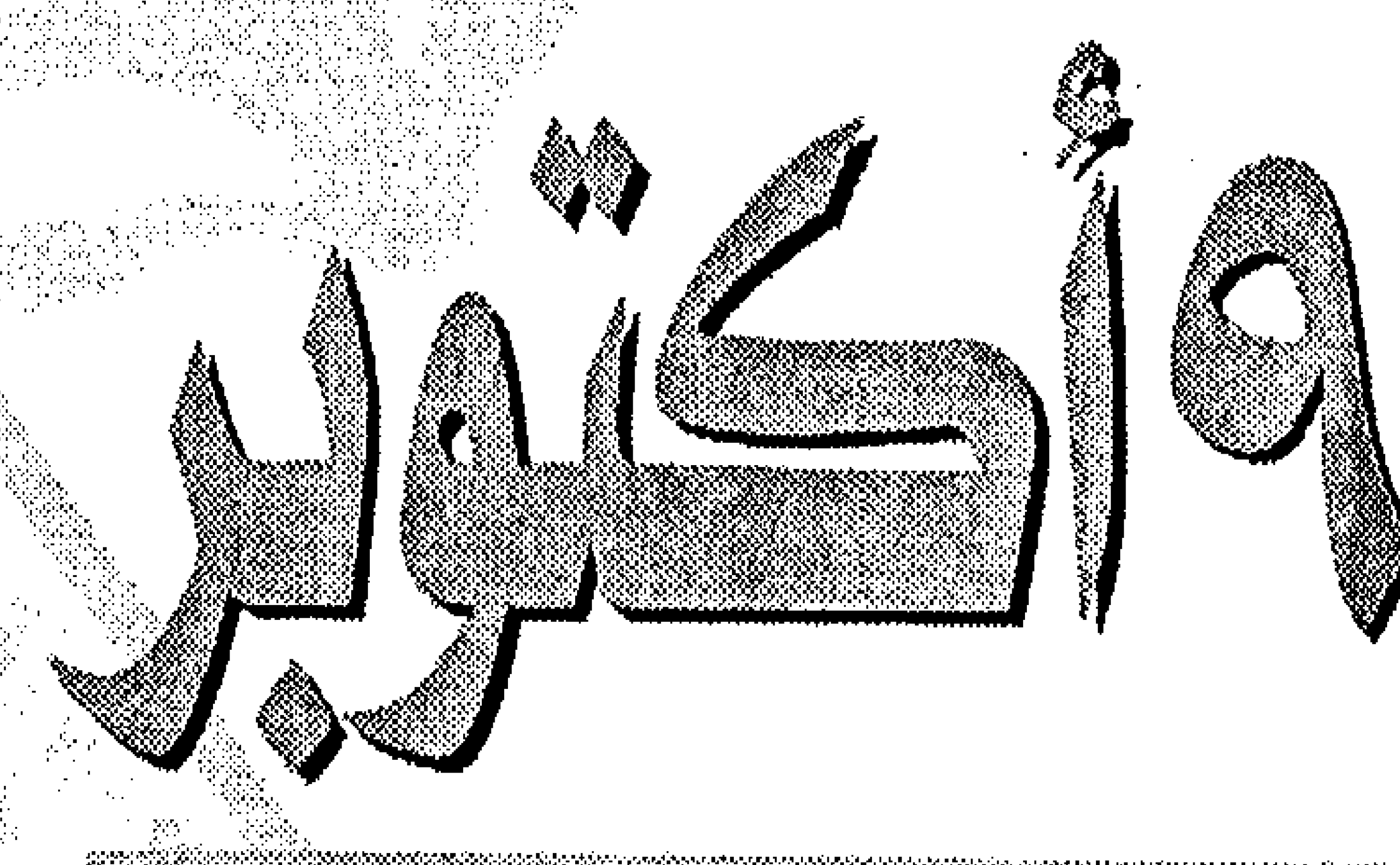
قال الله تعالى فى كتابه المجيد :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (١٤) ﴾

صـــدق الله العظيم

سورة الحشر- آية ١٤


٩ أكتوبر
١٩٧٣م

٩ أكتوبر ١٩٧٣م

في الساعة ١٢٠٠ أى ظهريوم الثلاثاء الموافق ٩/١٠/١٩٧٣ أى في اليوم الرابع من القتال وفى قيادة الجيش الثالث الميدانى فى غرفة ملحقة بغرفة العمليات الخاصة بقيادة الجيش.

جلسنا لفيف من ضباط الأسلحة المختلفة مختلفى الرتب والتخصصات أنا الرائد قدرى محمود رئيس قسم الترجمة بقيادة الجيش الثالث الميدانى والضابط رأفت غير معروف الرتبة لأنه يلبس لباسا مدنيا وغير معروف بقية اسمه أو لقبه ولكن معروف لنا جيدا أنه من المخابرات العسكرية والمقدم علاء الدين حسين من قيادة عمليات الجيش الثالث الميدانى والنقيب زكريا سنجر ضابط شرطة عسكرية جلسنانحن الأربعة داخل الحجرة فترة تجاوزت خمس ساعات متواصلة تخللها خروج المقدم علاءالدين حسين ثم عودته ومعه الملازم أول طبيب حازم مازن من الخدمات الطبية.

الغرض من هذا الإجتماع مناقشة كيفية الإستيلاء على الحصن الحصين من حصون خط بارليف ويحمل رقم ١٠١ الواقع فى قطاع الجيش الثالث الميدانى ويطل على شمال البحيرات المرة الكبرى . منذ بدء القتال فى السادس من أكتوبر والحصن محاصر بقوة من الجيش الثالث وبالرغم

من المحاولات العديدة والشديدة لاقتحام هذا الحصن إلا أنها كانت دائما تبوء بالفشل الذريع.

استخدم الكثير من الأفكار والمعدات وأنواعًا متباينة من الأسلحة والأعيرة لاقتحام هذا الحصن ولكنه مازال قادرًا على الصمود والتصدى بل قد يصل إلى درجة التحدى والتفوق.

فى الإجتماع تلا علينا المقدم علاء أمراً عسكريا من قيادة الجيش يفيد بتكليفه هووالضابط رأفت بعمل لجنة من ضباط مختارين بمعرفتهما لوضع خطة للاستيلاء على هذا الحصن مهما تكلف هذا الأمر من تكاليف سواء كانت مادية أو بشرية وبأسرع وقت ممكن لأسباب سياسية عليا.

استعرض الضابط رأفت أوراقا ومتعلقات وخطابات مكتوبة باللغة العبرية وتلك تخص القتلى والأسرى الضباط والجنود الإسرائيليون كلاًعلى حده.

وقد تم الإستيلاء على القتلى نتيجة شدة القتال مما تسبب فى عدم مقدرة القوات الإسرائيلية المنسحبة بأخذ قتلاهم معهم وهم فارون هاربون. أمام قواتنا المقتحمة وكذلك موت أفراد من جرحاهم الأسرى الذين لم يستجيبوا للعلاج وقامت قواتنا الباسلة بأسر بعض من تلك القوات الصهيونية المنسحبة والذين مازالوا على قيد الحياة نتيجة عمليات الإلتفاف والتطويق أو نتيجة الإقتحام المباشر والاستيلاء على كل ماهو إنسٍ أو جماد إسرائيلى فى حصونهم المنيعة داخل خط بارليف الحصين أو داخل دباباتهم ومجنزراته ودشمهم .

بعدما استعرض الضابط رأفت سرد متعلقات وتحقيقات واستجوابات الأسرى إنتهى من استعراض مامعه من أوراق ، وعند دراسة كل حالة قمت أنا بترجمة ماكتب بالعبرية إلى العربية ثم أعاد المقدم علاء الدين حسين تقرير القتيل إسحاق إلياهو ضابط الإحتياط الإسرائيلى بناء على إجماع منا نحن الأربعة المجتمعين والذى يحمل رتبة الرائد والذى يحمل أيضا فى سترته خطابا من زوجته وكذلك بطاقة تحقيق شخصية خاصة به وبعد الترجمة كانت بياناته هى :

الاسم : إسحاق إلياهو إسحاق

إسم الوالد : إلياهو إسحاق

اسم اللقب: إسحاق

تاريخ الميلاد: ١٩٤٨/٤/٧ بئر سبع

الديانة : يهودى

الوظيفة : مدرس بمدرسة بن جوريون الثانوية

محل الإقامة : ١٣ ش ٧ بئر سبع

فصيلة الدم : A

رقم البطاقة : ٤٣٢١ سجل مدنى بئر سبع

كما كانت ترجمة خطاب زوجته كالتالى :

زوجى العزيز .. إسحاق

حفظك الله من كل مكروه ، وحشتنى كثيرا وكذلك وحشت ابنك جاك وهو دائم السؤال عليك نحن كلنا بخير ونريد رؤياك دائما وسوف تحضر لنا مثل كل مرة دون حرب ودون أى مكروه وأريد أن أعرف الكثير عن صحتك، أكتب لى خطابا يفيد ذلك.

ياترى عاملة إيه أزمة الربو معاك اليومين دول عموما بسبب الجو البارد مع تغيير الفصول دفى صدرك كويس وخلى معاك البخاخة دائما ولاتنساها بعيد عن متناولك وخاصة فى تنتقلاتك خارج الخيام.

أبلغنى مدير المدرسة أمس الأستاذ رابين عند ذهابى لصرف مرتبك أنك ترقيت وانتقلت إلى الإدارة التعليمية ببئر سبع للعمل مفتش لغة عبرية.

مبروك وألف مبروك الترقية

مبروك عيد الغفران

وإلى اللقاء قريبا.

سلامى وقبلاتى الحارة المشتاقة.

زوجتك المخلصة

١٩٧٣/١٠/٢ .   سالمين

كان الضابط رأفت قد استخرج البطاقة وكذلك الخطاب من كيس قماش مكتوب عليه رقم ٧٣١٠٦ وهو الرقم العسكرى للرائد احتياط إسحاق إلياهو إسحاق

تاريخ الموت وساعته : يوم ١٩٧٣/١٠/٨ الساعة ٧٠٠

مكان الموت : جنوب شرق الدفرسوار - سيناء

متعلقات :

١ - سلسلة رقبة للرقم العسكرى الميدانى

٢ - ساعة يد ذهبية

٣ - خطاب باللغة العبرية

٤ - بطاقة تحقيق شخصية مدنية ملصق عليها صورته

٥ - محفظة جلدية بها نقود ١٤٠ شيكل اسرائيلى

٦ - بخاخة دواء مصنوعة من صفيح

٧ - منديل قماش أبيض عليه حرف E مشغول باللون الأحمر

٨ - صورة طفل عمره حوالى ٦ سنوات

٩ - صورة سيدة عليها كلمات من الخلف باللغة العبرية وبترجمة تلك الكلمات للعربية كانت (زوجتك المخلصة للأبد سالمين).

١٠- بطاقة عسكرية تفيد الرتبةوالسلاح ورقمي اللواء والكتيبة.

إسحاق الياهو إسحاق إسم وقفنا عنده طويلاً نتأمل ونفكر بعد استعراض جميع ملفات القتلى والأسرى الإسرائيليين عرفنا عنه الكثير. شخصية كاملة مكتملة المعرفة دارت حولها كيفية اقتحام الحصن ١٠١ عن طريقها.

خرج النقيب زكريا سنجر من الإجتماع وبعد حوالى عشر دقائق عاد ومعه الرائد جمال شعبان من الحرب الكيماوية والملازم أول مهندس أنور المحلاوى وبعد قليل دخل الغرفة الملازم أول عماد الصعيدى من التوجيه المعنوى ومعه النقيب ياسر الزعبلاوى من سلاح الإشارة ثم بعدهما بقليل دخل الرائد بحرى مصطفى الهلالى من البحرية وبذلك اكتملت اللجنة بعدد عشرة ضباط وبعد حوالى نصف ساعة من اكتمال عددنا خرج الرائد جمال شعبان من الإجتماع وهويحمل البخاخة الخاصة لعلاج الربو للقتيل إسحاق إلياهو، ثم عاد مرة أخرى لمجلسنا بعد حوالى نصف ساعة بعد إجراء التعديل اللازم للبخاخة لكى تصبح سلاحاً جديدًا.

وعندئذ انفض الإجتماع وخرجت أناومعى النقيب زكريا ضابط الشرطة العسكرية متوجهين إلى الحصن ١٠١ لتنفيذ العملية (ق) للاستيلاء على الحصن .

وحتى لاأنسى مادار فى اجتماع اللجنة ، اللجنة الخاصة للإستيلاء على الحصن ١٠١ وهو من حصون خط بارليف وهو الحصن الوحيد الذى لم يتم الإستيلاء عليه والذى مازال تحت السيطرة الإسرائيلية أقول لكم وللتاريخ.. أقول للأجيال القادمة السعيدة بإذن الله التى ولدت أو التى لم تولد بعد والتى سوف تولد على ثرى مصر العزيز الغالى .

فى الإجتماع الأوّلى للجنة ونحن مازالنا أربعة أشخاص مجتمعين وأنا بينهم أجمعنا على أنه لابد من دخول الحصن ثم الإستيلاء عليه من الداخل لأن الإستيلاء عليه من الخارج أصبح مستحيلاً ويتطلب وقتًا طويلاً لإتمام الحصار ثم التسليم أو تدميره تدميرا شاملاً وهو مايجافى وينافى

الأمر العسكرى بناءً على الأمر السياسى الرياسى.

الخدعة فرضت نفسها أمامنا كحل أوحد لدخول الحصن.

إذن لابد من الخدعة أينما توجد هذه الخدعة ولابد من الخدعة كيفما تكون تلك الخدعة.

الخدعة هى الحل الأمثل والأصلح والحتمى لاقتحام هذا الحصن وبعد اختيار شخصية إسحاق إلياهو لكى تكون هى الخدعة المطلوبة لما تتمتع به من ثراء فى المعرفة والتعارف والمعارف الشخصية والأسرية والحياتية العملية وأيضا العسكرية وحيث إنه قد قتل وأصبح ماضيا لايقدر على التحدث والاقتحام فكان لابد من شخص يمثل ويتقمص تلك الشخصية .

وحيث إننى أتحدث اللغة العبرية بأصولها النحوية وليس باللغة العامية أو اللهجة الدارجة وهذا ماكان يتحدث به إسحاق لأنه مدرس لغة عبرية بالرغم من أننا لم نسمع صوته أو نراه يتحدث.

هكذا وقع علىّ الإختيار للقيام بهذا الدور وبذلك استبعدنا العمل الفدائى لاقتحام الحصن أو قيام عميل إسرائيلى بهذا العمل وأيضا لأن فصيلة دمى A وبشرتى قمحية اللون مثله ولون عيونى خضراء كعيونه وكل منا ذو ملامح شرقية وأصبح اللغز كيفية دخول إسحاق إلياهو الحصن.

وبعد شرح مستفيض عن الشخصية الإسرائيلية بصفة عامة وفعلها ورد فعلها لأى عمل وخاصة عندما يكون هذا العمل هو الخطر والموت قام

بهذا الشرح الملازم أول عماد الصعيدى من إدارة التوجيه المعنوى الدارس علم النفس والإجتماع اليهودى الصهيونى، وخلاصة الشرح مع ظروف الخطة (ق) أن العدو الإسرائيلى سوف يقتل أى فرد يقترب من ممر مدخل الحصن مهما كانت شخصية هذا الفرد وباحتمال قتل يفوق ٩٠٪ أما الإحتمال الباقى وقدره الـ ١٠٪ وقدر له أن يفتح باب الحصن لدخول هذا الشخص ولم يقتل يطالب بعد دخوله الحصن بدخول شخص آخر إسرائيلى أكبر رتبة أسير لدى المصريين يحمل رسالة من المصريين لقائدالحصن وبعد التحقيق والتدقيق وبعد معرفتهم لشخص وشخصية الداخل والإطلاع على شخصية المطلوب دخوله وهومنهم أيضا الرائد إسحاق إلياهو إسحاق . وفى حالة الإحتمال الأكبر ٩٠٪ وبتكرار نفس عملية الدخول بعد قتل الداخل الأول وهو ضابط إسرائيلى برتبة ملازم أول يتقدم شخص أوشخصين محاولا دخول الحصن يكون احتمال السماح بالدخول أكثرمن ٩٥٪ على أن يفتح باب الحصن لهما ليس بسبب عقدة الذنب وحدهالقتل ضابط إسرائيلى ولكن خوفا على النفس ذاتها وهو مايسمى بالأنا نوع من أنواع الأنانية تخص اليهود وحدهم وهذا يتأتى لو بدلت الأدوار بين قوة الحصن والمراد دخولهم للحصن لكان رد الفعل واحد لايتغير. وهكذا وضعت الخطة (ق) أما بالنسبة لمرض الربو فقد شرح الملازم أول طبيب حازم مازن أعراض نوبة المرض وكيفية استعمال بخاخة العلاج وشرح أيضًا ماذا يفعل الدواء لعلاج أزمة ونوبة الربو.

إن الرزاز الخارج من العلبة يعمل على تفتيح الشعب والحويصلات الهوائية الموجودة داخل الرئة وبذلك تقل شدة النوبة الربوية لزيادة كمية

الأكسجين داخل دم المريض نتيجة التبادل الغازى فى الحويصلات الرئوية وهو مايسمى بعملية التبادل الغازى الرئوى.

وبعد حوالى دقيقة واحدة من الإستعمال تتحسن حالة المريض ويحس بالراحة والخروج من شعور الإختناق ويتم الشفاء الوقتى وعندما طلب الضابط رأفت من الرائد جمال شعبان وهوكيميائى أن يخلق سلاحاً جديداً داخل بخاخة علاج الربو الخاصة بإسحاق إلياهو وبالرغم من أن الطلب صعب إلا أنه فى غاية الصعوبة وبالأخص إن عامل الوقت يحكمه ومطلوب التنفيذ فى دقائق محدودة.

استغرقت عملية خلق السلاح الجديد حوالى نصف ساعة بالتمام ثم عاد الرائد جمال ومعه نفس البخاخة ولكنها أصبحت سلاحاً جديدا . أصبحت سلاحًا وعلاجًا فى آن واحد. وأفاد بالآتى :

١ - تم سحب الدواء من البخاخة فى زجاجة.

٢ - تم فتح غطاء العلبة الصفيح من مكان قفله (الدوسرة) وهى طريقة قفل الغطاء مع جسم العلبة الصفيح .

٣ - تم وضع علبة صفيح صغيرة بداخل العلبة (البخاخة) مع تثبيتها، مملوءة بغاز الأعصاب المسال القاتل ، وعند الاستعمال يخرج رذاذًا وليس غازًا، وتأثيره مرخى وشال لعصب العضلات، وهو قادر على قتل الشخص الذى يستنشقه بمجرد دخوله الرئتين والعلبة محكمة القفل.

٤ - كمية الغاز القاتل الموجودة بالعلبة الصغيرة تكفى لقتل ثمانية أشخاص فى كل بخة يقتل شخصًا واحداً.

٥ - تم استرجاع الدواء مرة أخرى داخل البخاخة مع إتمام عملية قفل الغطاء بالدوسرة وبالتالى يكون الدواء حول العلبة الصغيرة ويحيطها من الخارج فقط.

٦ - العلبة الصغيرة لها مكان فتحة من أعلى مغطى بغطاء رقيق جدا وأمامه من أعلى فى غطاء العلبة الكبيرة (البخاخة) يوجد أيضًا مكان فتحة مغطاه بغطاء رقيق جدًا مدهون بنفس لون البخاخة وبنفس القطر لفتحة العلبة الصغرى وهو قطر خرطوم البلاستيك الخاص (بالأوتومايزر) ومن الصعب اكتشافه وأصبح كما كان فى صورته الأولى.

٧ - عند استعمال البخاخة يخرج الدواء وعند تغيير وضع الرأس البلاستيكى مع الخرطوم فى الفتحة الأخرى بعد هتكها بالخرطوم ثم دخوله أيضا فى فتحة العلبة الصغرى بعد هتك تلك الفتحة يكون استعمال الغاز القاتل على هيئة رزاز وهو مايخرج من البخاخة عند استعمالها . وهكذا تم صناعة سلاح جديد فى دنيا الحروب.

٨ - الحذر كل الحذر من استعمال الغاز وعند تبديل رأسى البخاخة (الأوتومايزر) يراعى أن تكون تلك العملية بعيدة على قدر الإمكان من رأس وأنف مستعملها لأن الخطأ معناه الإنتحار والموت.. وهذا معناه الفشل القاتل.

ثم شرح الملازم أول مهندس أنور المحلاوى كيفية فتح أبواب الحصن

كهربائيا من مكان تحكم مركزى وحتميًا مايوجد هذا التحكم فى غرفة قائد الحصن وفى الغالب يوجد صندوق مفاتيح التحكم المركزى فى الحائط بعد إحكام إخفائه وله مفتاح يحتفظ به القائد لفتح هذا الصندوق عند التشغيل والحاجة.

هكذا شرح لنا الملازم أول المحلاوى ورسم لنا أيضا أشكالاً توضيحية تفيد ذلك وتؤكد مايقول بناء على ماتم من إستيلاء حصون مثيلة من حصون خط بارليف.

كل مفتاح كهربائى عليه كتابة تفيد عمله ومفاتيح الأبواب لونها أحمر وهومايدل على خطر الإستعمال وأهميته القصوى . باب الحصن أمامه ممر ملتو يسمح بمرور السيارة النقل فقط دون مقطورة من شدة التفاف الطريق كما يوجد باب صغير فى اتجاه آخر لايسمح بدخول السيارات ولكنه لاستعمال الأفراد فقط ، هكذا كانت دقة التصميم والتحصين وإعطاء حماية طبيعية كافية للحصن.

وجاء دور النقيب ياسر الزعبلاوى للتحدث عن إمكانية الإستفادة من الإتصال اللاسلكى بين قوة الحصن وقيادتهم داخل سيناء وأفاد بأنه يمكن حل الشفرة وكود الاتصالات وهى لغة الإتصال اللاسلكية وقت الحروب عبر الإتصالات اللاسلكية وغير الحروب أى وقت السلم وحتى لايعرف العدو لغة الإتصال ومايدور فيها من معلومات وخلافة.

الشفرة دائمًا لغة متغيرة لهاكود معين عند كل يوم أو ربما لزيادة السرية عند كل اتصال.

لقد أفاد النقيب الزعبلاوى وصولناومعرفتنا لحل لغة الشفرة الإسرائيلية وكود الإتصالات مؤخرا، وعندما يراد قطع أو منع الإتصال عند أى خطر أو مطلب لذلك يمكن قطع الإتصال بتاتًا أو التشويش التام عليه.

ونمتلك جهاز لذلك يقوم بعملية فك لغة الشفرة وأيضا عملية التشويش التام إذا تطلب ذلك وهنا أخذ الحديث الرائد بحرى مصطفى الهلالى وأوضح بأن جهاز التشويش هذا يجب أن يوضع فى لنش ويبتعد بقدر كاف فى البحيرات المرة الكبرى بعيدا عن الحصن وبعيدًا عن منطقة العمليات الحربية لعمليات الجيش الثالث.

قدر للجنة أن تشرك كافة أفرع القوات المسلحة وقدر لها أيضًا أن يكون التعاون والتناغم التام المنسجم بين جميع تلك الأفرع وقدر لها ثالثا أن تتفهم الأمور علميًا وأن تبنى الخطة بقدر عظيم من الحنكة والمهارة بما أوتى لها من علم ومعرفة إن الإيمان بالقضية وتحديد الهدف وبناء الطرق والجسور للوصول إليه بكل مانملك من إمكانيات علمية وعملية هو السبيل بإذن الله إلى النجاح.

ست ساعات استغرقت وضع خطة الاستيلاء على الحصن ١٠١ وهى ماعرفت بالعملية (ق).

سميت (ق) تبركا وأبتهالا من سورة (ق) فى القرآن الكريم، فى السورة بيان قضية الحياة بعد الموت ونحن الآن فى أشد أوقات احتياجنا لها وكما قيل (ق) جبل شامخ من جبال جنة الخلد الموعودة للمؤمنين ونحن الآن نتطلع إلى الصعود والشموخ والعلو على جبال وحصون وتحصينات ودفاعات

العدو المتعددة منها الطبيعى ومنها المصطنع.

كما أن (ق) حرف أبجدى مشترك بين إسمى الحقيقى وإسم ما أقوم بتمثيل دوره والمتقمص شخصيته فى العملية، إسمى يبدأ بحرف (ق) وإسحاق ينتهى بحرف (ق)،

فى تمام الساعة ١٨٠٠ أى السادسة من مساء نفس اليوم ١٩٧٣/١٠/٩ دقت ساعة الصفر أى بدء تنفيذ العملية (ق) ركبت مع النقيب زكريا سنجر سيارة جيب تتبع الشرطة العسكرية متوجهين الى الحصن ١٠١ موقعه فى البر الشرقى لقناة السويس مقابل الجهة الجنوبية لقرية أبو سلطان وهومن حصون خط بارليف وبعد حوالى ربع ساعة من المسير توقفت السيارة عند نقطة تفتيش شرطة عسكرية وعندهاوجدت الملابس الإسرائيلية التى يجب ارتداؤها لأكون إسحاق إلياهو.

بدلت ملابسى العسكرية بملابس عسكرية إسرائيلية، الملابس قذرة غير نظيفة بها أوساخ وتفوح منها رائحة العرق.. تفوح منها رائحة اليهود.. تشم تلك الرائحة وتدركها الأنوف من على بعد ليس بالقليل وعند تمام ارتدائها ثم ارتدائى الجورب والحذاء أصبحت من الآن إسمى إسحاق إلياهو إسحاق أحمل رتبة الرائد وتقمصت شخصيته ووضعت فى جيوب الأفرول كل متعلقاتى ولبست سلسلة الرقبة التى تحمل رقمى العسكرى الذى أحفظه جيدا ٧٣١٠٦ واحتفظت بصورتى طفلى جاك وزوجتى سالمين فى جيب سترتى العلوى الأيسر ملاصقا لقلبى وفى جيب سترتى الأسفل وضعت بخاخة الدواء بالجيب الأيمن أما المنديل وحافظة النقود ومابها من نقود وضعتهم فى الجيب الآخرمن سترتى وحيث إننى أعتقد بأن الجيوش

تهـزم من الداخل قبل هزيمـتهـامـن الخـارج . تهـزم من داخل أنفـسـهم قـبل هـزيمـتهم من أعـدائهم وهكذا شـاء قدرى المحمـود أنا الرائد قـدرى محـمـود المصـرى أن أنخـر وأحطم عظام ونخـاع العـدو من الداخل بعـد أن أصبـحت فـردا منهم.. أصـبـحت الرائد احـتـيـاط إسـحـاق إليـاهو وبعـد رجـوعـى إلى السيـارة إلتفت النقيب سنجـر للخلف نـحوى وعلـى وجهه إبتسـامة عـريضـة ونحن نسير بالسيارة فقال:

- : الملابس الـداخليـة والأفـرول تخص العـقـيـد عـسّـاف ياجـورى الأسيـر لأنهامقاسك وهـى بشـرى خيـر ياسيـادة الرائد للترقـية والنصـر بإذن الله.

نظرت فاحصًا حذائى (البيادة) سائلاً :

- : وباقى الأشياء من جورب وحذاء وشارة الرتبة مِن مَن ؟

- : من ضباط أموات

هكذا انطقها وأخذ ينساب فى الضحك ثم قال:

- : الحذاء لضابط إسـرائيلى مقاس حذائه هو نفس مقاس حذائك ٤٢ وكذلك الجورب والقتيل مـلازم أول يدعـى كوهين داود.. أمـا شـارة الرتبـة فهى ملكك ياسيادة الرائد إسحاق الياهو

ونظرت وعنقى يلتف حول جسدى بحركة حائرة يمينا ويسارا وقلت:

- : الآن أنا أصبحت كوكتيل إسرائيلى من القتلى والأسرى.

وأخذ الصمت يخيم علينا كل منا نحن الثلاثة.

كل فى تفكير يختلف عن الآخر بالرغم أننامتوجهون للقيام بمأمورية

واحدة ألا وهى الإستيلاء على الحصن.

وإذا بالسائق يلتفت نحوى ويخاطبنى:

– : إن شاء الله سوف تنتصر يا افندم .. المهم سيادتك توصل بسلامة الله ولو على جثتى

وضعت يدى اليسرى على كتفه الأيمن وقلت :

– : متشكر كثير ا ياوَحش

تحدث النقيب سنجر فقال:

– : إحنا الثلاثة معًا لو قدر الله أن نموت سوف نموت معا وهو مالانتمناه جميعا

فقلت: المقدر مكتوب على الجبين ولابد أن تشاهده العين .

وطال الصمت كما طال الطريق حاولت أن أريح نفسى ذهنيا وفكريا أخذت أدندن بنغمات أغنية أم كلثوم عودت عينى.. على رؤياك، وآن آخر أدندن لعبد الوهاب أجرى.. أجرى.. أجرى أوام وصلنى.. وفجأة أغارت علينا طائرة من طائرات العدو وبعد رجوعنا من الإنتشار هروبا من الغارة بعد انتهائها لركوب السيارة مرة أخرى وجدنا السائق قد استشهد على عجلة القيادة بقذائف (الفيكارز) وهى طلقات رشاشات الطائرة.

أخذنا جثة السائق ووضعناها بجوار الطريق ثم أوقفنا سيارة نقل محملة بالذخيرة تسير فى نفس اتجاه سيرنا لكى يقوم أفرادها بعملية تسليم الشهيد مع عمل اللازم له وايضا لكى يساعدونا فى تغيير إطار الكاوتش الأيسر الأمامى لسيارتنا، لقد انفجر من القذف المباشر الجوى

وتم تبديله بالإطار الاحتياطى المعلق خلف السيارة.

استغرقت تلك الأحداث حوالى نصف ساعة من الرصيد الزمنى للخطة الموضوعة (ق) ثم تقدم النقيب سنجر لقيادة السيارة الجيب وبعد السير لمسافة قصيرة توقفت السيارة عن الحركة تماما كما توقف سائقها من قبل عن الحياة كأنه كان يعرف أنه سوف يستشهد ويصبح جثة هامدة وعليها ويهاسوف أصل للحصن.

هكذا أحس السائق.. وهكذا تحدث بذلك .. ثم هكذا كان مصيره.

الموت يخيم فى سماء الحروب كما يخيم غبار الرمال ورائحة البارود، لايعرف أى فرد متى وأين يموت إن الله عالم الغيوب وقد يحس الفرد بشىء ماولكنه لايعرفه جيدًا لأن الله عالم السّر وأخفى فى الحروب يعظم الإيمان لدى المقاتلين لأن الإنسان يشاهد ويرى الموت والحياة معا والله هو خالق الموت والحياة .

توقفت السيارة عن المسير بعد حوالى دقيقتين من السير بقيادة النقيب سنجر، توقفت السيارة بسبب السخونة الزائدة والتى تسببت فى تلف موتور السيارة والتى فاقت كثيرا المعدل الطبيعى لدرجة حرارة الموتور لأن جهاز التبريد المائى (الراديراتير) قد أصيب بالتلف والعطب وتسربت منه المياه تماما من جراء القذف الجوى أثناء الغارة علينا وبعد نزولنا مباشرة من السيارة الجيب المعطلة أشار النقيب لسيارة اسعاف بالتوقف وهى أول سيارة مرت أمامنا وبعدما وضح وزاد وعاد وبأمر عسكرى من النقيب لأفراد سيارة الاسعاف أمتثل أفرادها للأمر وركبت مع طقم المسعفين من الخلف وكانت المشكلة هى ارتدائى الملابس العسكرية الإسرائيلية برتبة رائد

وهى المشكلة الثانية التى واجهتنا منذ بدء العملية (ق) وأصر النقيب سنجر أنى إسرائيلى متحفظ عليه ونريد الذهاب إلى شرق كبريت لمأمورية هامة سوف يقوم بأدائها الأسير الإسرائيلى لصالح مصر وجيش مصر.

وبمجرد ركوبى فى الصندوق الخلفى للسيارة تحركت بنا، إنها نفس السيارة أو تشبهها تماما.. السيارة التى ركبتها من قبل منذ ست سنوات.. سيارة الصليب الأحمر أثناء عودتى من الأسر اثناء رجوعى من العريش إلى بورفؤاد.

كنت مصريًا أسيرًا أُعود إلى وطنى بعيدًا عن الأعداء واليوم صرت إسرائيليا أسيرًا أعود إلى الأعداء بعيدًا عن أهلى وعشيرتى وفى الحقيقة إننى مصرى أريد الإستيلاء على الحصن ١٠١ دون تدميره وهو ماتقتضيه العملية (ق).

وأخذ الحنين يعود بذاكرتى إلى الماضى.. عندما استقر بى الحال فى الصندوق الخلفى للسيارة وفى مكان جلوسى خلف السائق وهو نفس مكان الجلوس فى المرة الأولى.


هكذا أسترجعت ذاكرتى كما استرجعت الماضى عند عودتى من الأسر زوجتى .. نعم زوجتى لقد تركتها فى منزلنا يوم السبت قبل بدء القتال بأسبوع بعد زفافنا القريب.. هكذا كتب علينا ألايكون لنا شهر عسل مثل كل الأزواج.. بل دون أجازة طويلة تُقْضَى معا فى سفر بعيد أو على شواطىء البحار والبلاچات .. زوجتى التى عرفتها أثناء الدراسة الجامعية بكلية الآداب وكنت أدرس اللغة العبرية وهى تدرس اللغة الإنجليزية وآدابها.

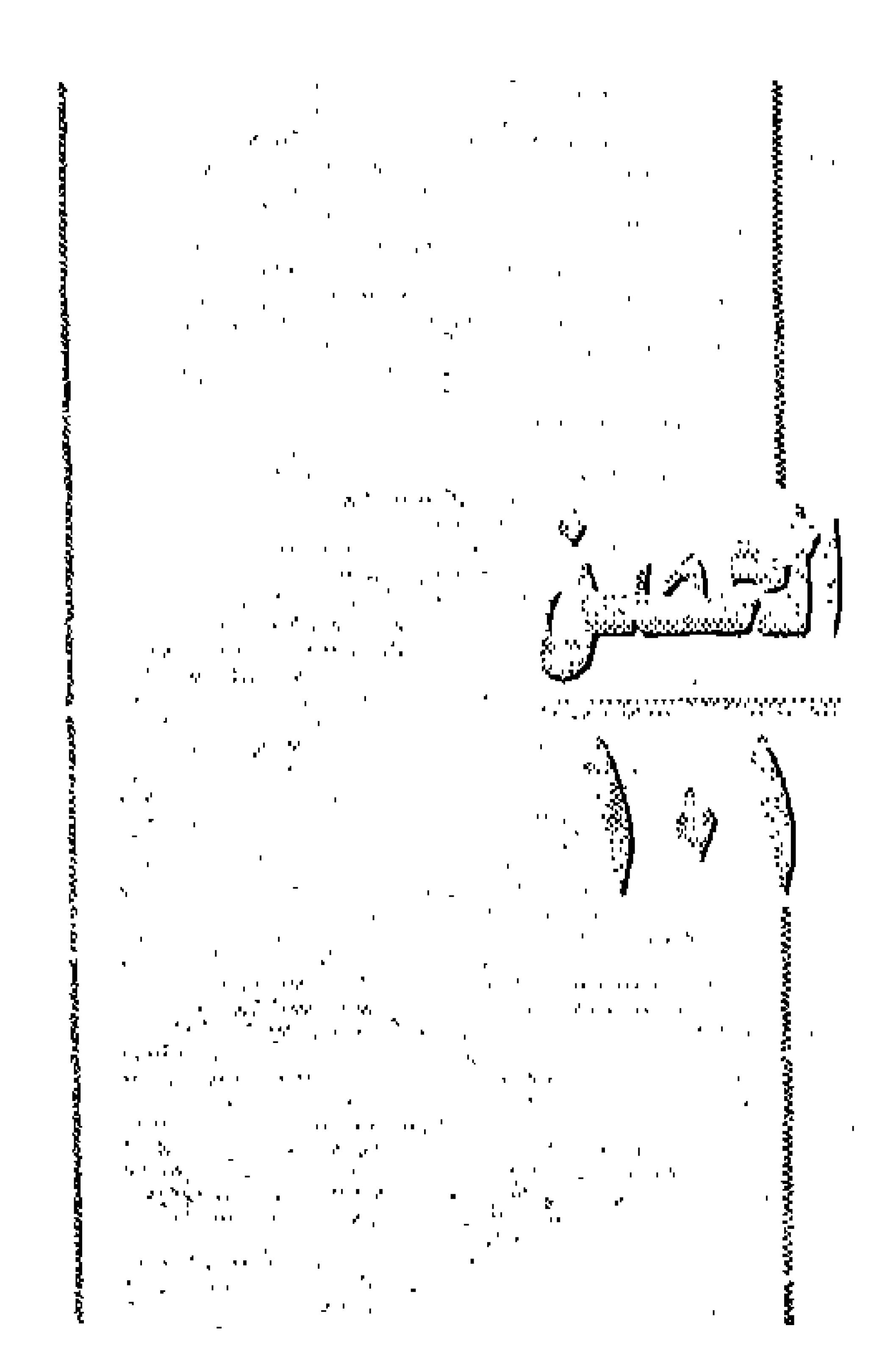
عرفتها جيدا منذ أن كنا نستعد لدخول امتحان الليسانس أى منذ سنة واحدة ، إنها مثال فى الأدب واللياقة والذوق والإحترام، تتمتع بحياء عظيم ولكنها تمتلك عزة وإباء وشمم أعظم.

سبق لى معرفتها منذ زمن طويل ولكن لم أفكر فيها كزوج هى سورية الجنسية .. تذكرنى بانتصار صلاح الدين عندما اتحد مع سوريا فى جيش واحد للقضاء على الصليبيين ، والدها رجل ذو مبادىء وقيم قلما يوجد فى عصرنا هذا مثيلاً له.

فقليل من الناس يعرف قدره ويعطى له حق كيانه ويعظم مقداره يوم زفافنا أصر وصمم على عمل حفل زفاف دعا فيه كثيرا من الناس، دعا فيه كل أقاربه ومعارفه ودعوت معه الأهل والاصدقاء.. قدم بسخاء وفخامة للمدعوين أشهى الطعام وألذ المشروبات فى ولائم على ضفاف النيل، وأحيا الحفل نخبة مختارة من الفنانين وأصر والد زوجتى عمى حافظ الحلبى على أن يحى الحفل الراقصة الأولى فى الشرق سامية جمال ذات الفن الشرقى الرفيع وكان يوم من أيام تجلياتها، اتقنت الرقص بحرفة نادرة واندمجت مع الحاضرين لكى تعطى وقتا للفن أكثر من المحدد لها بحوالى نصف ساعة ولكى تعطى فنافى غاية الروعة والجمال.

إنها حقا رسمت تبلوها من تبلوهاتها البديعة الأخاذة .. آخذة الألباب والأفئدة وتم زفافنا أنا وأمل فى يوم جميل رائع يوم عمرنا على مر الأيام والسنين.


الحصن
١٠١



سمعت صوتا بجوارى يخبرنى باللغة الإنجليزية بوصولنا إلى الحصن ١٠١ والسيارة مازالت تجرى بسرعتها ثم توقفت وإذا بالحصن وجهاً لوجه برؤية العين بعدما عشت معه كثيراً وحيامعى فى عقلى وقلبى وتمنيته بدمى وروحى.

نزلنا من السيارة أمام قائد القوة المحاصرة للحصن.

وبعد عرض عليه العملية (ق) تقدم ملازم أول من قوة الحصار لم أر وجهه جيدا لأن ظهره كان فى اتجاهنا وتوجه إلى الحصن وبمكبر الصوت الميدانى أخذ ينادى بعد اقترابه من ممر باب الحصن الجانبى وهو الباب الصغير والمستعمل فقط لدخول وخروج الأفراد.

أستمر ينادى على قائد الحصن باللغة العبرية مرة والعربية مرة أخرى والإنجليزية مرة ثالثة:

« هناك صاروخ اسكود لانريد استعماله حتى الآن للقضاء على الحصن وسوف نطلقه على الحصن فى حالة عدم التسليم وخوفا على أرواحكم ومن أجل أزواجكم وأبنائكم وأهليكم نأمركم بالتسليم والخروج وأيديكم متشابكة خلف الرأس مع رفع الراية البيضاء » تكرر هذا النداء ثلاث مرات وبثلاث لغات ثم أخذ القذف الجوى يشتد لطائراتنا مع دانات

المدفعية الثقيلة ذات العيار ١٥٥ مم والذى أطلق عليه من جنودنا لقب (أبوجاموس) لمدة ربع ساعة متواصلة على الحصن إلا أن الحصن لم يستسلم أو يتأثر بهذا القذف المرعب المخيف وتقوم قوات الحصن بعملية الرد والتصدى على خير وجه من الناحية العسكرية والقتالية ونتيجة لهذا الصمود حفز شعورى الدفين شخصياً وجعلنى أزداد شوقا وتطلعا لدخول هذا الحصن آملا فى الله أن يكلل عملى بالنجاح والفلاح.

هكذا دعوت الله وبعد انقضاء القصف اكتشفت أن أذنى قد أصيبت بالصمم ولكن تبين لى أنه رد فعل للضرب والقذف الشديدين والقريبين منى حتى أن آذاننا بالرغم من عمل كل الإحتياطات اللازمة قد أصيبت بالصفير والطنين لمدة ثلاث دقائق بعد انتهاء القذف لايسمع فيها إلا نغمات الصفير ودقات الطنين النشاز.

ثم أغارت أسراب طائراتنا القاذفة على الحصن فأكتملت سيمفونية أفرع قواتنا المسلحة المصرية فى العزف والتناغم لتنفيذ العملية (ق) .

ثم أعيد النداء بعد خمس دقائق من وقف القذف النيرانى بصوت نفس الملازم أول اننى أعرف هذا الصوت جيدا .. أعرف صاحبه لأن صاحب الصوت يعمل تحت قيادتى بقسم الترجمة فى قيادة الجيش الثالث الميدانى إنه حاتم العزيزى.

وبسرعة استبعدت تلك المعلومات عنه وعن غيره من المصريين لأننى إسحاق الياهو إسحاق.

وأخذ النداء باللغات الثلاثة يعلو بوضوح بعد صمت المكان وتكرر ثلاث « سوف يتقدم أسير إسرائيلى يدعى الملازم أول موشى العازر إلى باب

الحصن لكى يتفاهم معكم بالأدلة والقرائن على التسليم والإستسلام »

لحظات ثم يتقدم الأسير إلى ممر دخول الحصن يحمل أوراقا فى يديه وبمجرد دخوله الممر الأخير المؤدى لباب الحصن أطلق عليه النار من داخل الحصن فأرداه قتيلا فى الحال لقد قتل الأسير الإسرائيلى برصاص إسرائيلى وبأيد إسرائيلية وعقب ذلك أعلن عبر مكبر الصوت الميدانى : «قتلتم فردا منكم يدعى ملازم أول موشى العازر رقم عسكرى ١٩٤٨٥٦ الذى أسر من قوة الحصن ٦٧ من خط بارليف وسوف يتقدم ضابطان من أسراكم بعد خمس دقائق من الآن ليحملا القتيل ويتوجها لدخول الحصن من أجل التفاهم معكم ولبيان عدم فائدة الإستمرار فى القتال نأمركم بالتسليم وفى حالة الرفض نحملكم مسئولية وعواقب عدم التسليم عند بداية أول ضوء من الفجر »

تكرر هذا النداء ثلاث مرات وبنفس اللغات الثلاث

لحظات من السكون والصمت الرهيب تمرمرور الدهر ثم يتقدم الملازم أول طيار ليفى دان معى أنا الرائد إسحاق الياهو إسحاق لم نتقابل سويا من قبل، لقد تقابلنا الآن ولأول مرة معا بمدخل الممر فى الساعة ٢٠٠٠ أى فى الثامنة مساء ، هكذا كانت الساعة تشير فى يدى ، توجهنا معا إلى القتيل موشى العازر وحملناه بين أيدينا وأخذت خطواتنا تقترب من باب الحصن وإذ نرى الباب يفتح ويتم النداء علينا من الداخل بالإسراع فى الدخول وأخذنا نسرع من خطواتنا بناء على أوامر النداء.

بعد دخولنا الحصن تقدم إلى كل فرد منا نحن الثلاث شخصان

ليقوما بعملية التفتيش الذاتى الدقيق والمحكم وإخراج مافى سترتى من متعلقات وإذا بى أقول صورة ابنى جاك وصورة زوجتى سالمين وسلسلة رقمى العسكرى ٧٣١٠٦ وبخاخة الدواء الخاصة لعلاجى من أزمات الربو التى تنتابنى من حين لآخر وساعة يدى صناعة إسرائيلية وحمل الجندى جميع متعلقاتى كأنه استولى عليهاوسوف لاتعود لى مرة أخرى ووضعهم جميعا على طاولة أمام قائد الحصن. كأنه وضع حياتى على الطاولة .. وضع الخطة (ق) تحت سيطرتهم لقد بدد الأمانى والآمال.. بدد المستقبل والحياة .. إنهاكارثة محققة محكمة الحلقات وعندئذ قلت بصوت مرتفع أريد البخاخة.. أريد العلاج وأخذ صوتى فى العلو الشدة وانتابتنى أزمة الربو من أعراض ظاهرية حتى أن القائد أمر بإعطائى البخاخة وقمت فى التو واللحظة باستعمالها ثم عاد لى الهدوء والسكينة شيئا فشيئا واستعدت الطمأنينة والأمان وظهر علىّ الثبات والوقار ثم وضعت البخاخة فى جيب سترتى وإذ يتقدم قائد الحصن وهو برتبة ملازم أول تجاهى بعد أن هب واقفا وأقترب أكثر ثم مد يده إلى جيب سترتى وأخذ بخاخة الدواء وقربها من وجهه وأخذ يقرأ بصوت عال ماعليها من مواصفات وطريقة استعمالها فقال:

- : تستعمل لأزمات الربو المزمنة الطريقة يخرج زفير ثم توضع الفهوة داخل الفم ويضغط على الغطاء من أعلى مع أخذ شهيق عميق.

صوب الملازم أول نظراته اتجاهى وسألنى :

- : ما إسمك ؟

نظرت إليه بشىء من التعالى والتكبر فرديت قائلا:

- : قول ما إسم حضرتك لأننى رائد أكبر رتبة .. والعسكرية تتطلب ذلك .

الملازم أول : حاضر يافندم

- : اسمى إسحاق إلياهو إسحاق رائد احتياط بسلاح المدرعات

الملازم أول : ماعمل سيادتك المدنى؟

- : مدرس لغة عبرية بمدرسة بئر سبع الثانوية وأشرت بإصبعى على صورة كانت فى يديه وقلت هذه صورة زوجتى سالمين وإبنى جاك صورته موجودة مع الجاويش.

وأشرت بسبابة يدى اليمنى على صورة بين يدى الجاويش الذى كان يقف على يمين قائده، كان هذا الحديث بالعبرية كما كانت كل الأحاديث داخل الحصن . وإذابألم شديد فى قدمى اليسرى ، لقد تورمت دون أن أدرى وقت انبطاحى أرضا بعيدا عن السيارة فى طريقى للحصن هروبا من غارة الطائرة المعادية.

طلبت من قائد المعسكر أن يحضر من يقوم بعلاج قدمى وإذا يتقدم إلىّ عريف قائلاً :

- : عريف طبيب سام باراك

جلس بجوارى وأخذ قدمى للكشف عليها بين يديه ثم قام واقفا وبعد برهة قصيرة أحضر دهانا وقام بتدليلك الورم بعد أن خلعت الحذاء والجورب.

رائحــة كـريهــة تخـرج من الجـورب الذى قـمت بارتدائه فى نقطة الشرطة العسكرية إنه جورب وحذاء القتيل كوهين الصهيونى .

استرجـاع الأحداث يلازمنى بالرغم من هروبى منهـا لأننى إسحـاق إلياهو

بعـد ذلك أخذ الألم فى الإحتمال وأخذ الورم فى الهبوط وشكرت العريف طبيب على حسن عمله.

طلبت عصير ليمون مع وجبة طعام إنهم مثلنا أهل ذمة ودين .. لهم دين سماوى أنزل من عند الله على رسول اصطفاه الله من البشر، لايأكلون لحم الخنزير والميتة.

لقد فعل مثلى ليفى دان وطلب مثلما طلبت من طعام وشراب إنه دائم السكوت، لقد أصيب بصدمة عصبية نتيجة أن الذراع الطولى الإسرائيلى قد شُل بل قُطع وبُتر وأقصد السلاح الجوى الإسرائيلى .. سلاح دان.

تناولنا الطعام أنا وليفى دان بشراهة ونهم وكان قائد الحصن يراقبنا جيدا هووالجاويش شاؤول، إنى أعرف هذا الجاويش جيداً إنه العريف شاؤول فى معسكر تجميع أسرى الحرب غرب ممر متلا هكذا أسعفتنى ذاكرتى وأخذ القائد يسأل ونحن نجيب على أسئلته أكثر من نصف ساعة وطلبنا منه التسليم والإنصياع التام للمصريين لأننا شاهدنا أوبالأحرى أنا شاهدت الحصن ٦٧ وهو فى كامل تدميره وفنائه بواسطة الصاروخ أسكود ذو القوة التدميرية الهائلة إن المصريين قادرون على تدمير هذا الحصن إلا أنهم يطمعون فى أسر كل قوة الحصن وهومرادهم ومنالهم حتى يتثنى لهم

استرجاع أكبر عدد من أسراهم عند تبادل الأسرى المحتمل حدوثه عقب وقف إطلاق النار وتدخل مجلس الأمن الدولى لحسم الأمر .

فى الواقع كان الإهتمام بالملازم أول طيار دان أكثر منى كان اهتمامهم الزائد وكثرة أسئلتهم له كان مقدراً له حسب الخطة (ق) بالرغم أنه ملازم أول وأنا أحمل رتبة الرائد إلا أنه ملازم أول طيار.

إنهم يعشقون الطائرات والطيارين عنصرى اليد الطولى لإسرائيل كان أبعاد الإهتمام عنى يعطى لى مزيدا من الثقة والأمان.

حقًا إننى أتمتع بقدركبير من معلومات إسحاق إلياهو بعد ترك بطاقتيه الشخصية والعسكرية وخطاب زوجته سالمين خارج الحصن فى الكيس القماش رقم ٧٣١٠٦ فى حجرة المقدم علاء الدين حسين وإننى قمحى اللون ذو عيون خضراء وأتكلم العبرية بالفصحى وفصيلة دمى A مثل العلامات التى تحفر على سلسلة الرقبة أسفل الرقم العسكرى وهى نقطة بالحفر تدل على فصيلة الدم A ، نقطتين اثنتين متجاورتين تدلان على فصيلة B ، ثلاث نقاط فى خط مستقيم تدل على فصيلة AB ، أربع نقاط أيضا فى خط مستقيم تدل على فصيلة O هكذا كانت علامات وإشارات فصيلة الدم حسب مادون بالحفر بمعرفة الإسرائيليين على سلاسل جنودهم وضباطهم الميدانية.

عندما كان العريف طبيب سام باراك يدلك قدمى بالمراهم شك أصبح قدمى لأخذ عينة دم وقام بتحليلها لمعرفة فصيلة دمى ومطابقتها على ماهو محفور على سلسلة الرقبة من علامات وإشارات . وكذلك طلب

من الملازم أول طيار دان أخذ عينة من دمه لتحليلها بناء على أوامر قيادتهم بالرغم أنه لايمتلك سلسلة رقبة عند دخول الحصن كما هو مقدر فى العملية (ق). وعند إتمام الإتصال اللاسلكى سيؤكد ذلك بالطبع وحتى تبتعد دائرة الإهتمام عنى بقدر الإمكان.

عند كل متغير من متغيرات التحقيق ولا أقول الأسئلة أو الإستفسارات، يقوم قائد الحصن بالدخول إلى حجرته لإجراء اتصال لاسلكى بقيادته للتأكد من شخصيتى وشخصية دان.

هم بالطبيعة والسليقة شكاكون إنهم ملوك الشك والريبة ومابالك إذا كان هناك مايؤكد الشك والريبة.

أتكون هناك خدعة مصرية للإستيلاء على الحصن من الداخل؟

كان هذا السؤال أمام أعينهم دائما .. ودائما كانوا يعملون للوصول إلى الإجابة الشافية.

علمت من التحقيق مع دان أنه من مواليد تل أبيب فى ١٩٥٢/١/٢٦ وياله من تاريخ لقاهرة المعز.

تذكرت تاريخ ميلاد زوجتى أنه فى اليوم الأول من السنة الأولى من بداية النصف الثانى للقرن العشرين.

نفس اليوم ونفس الشهر مثل ميلادى ولكنى أزيد ثلاث سنوات وفجأة نظر لى قائد الحصن وسألنى :

- : أين بطاقتك الشخصية ياسيادة الرائد؟

وبسرعة أجبته:

- : لا أعرف بالضبط أين هى. إحتمال فقدتها وقت القتال أو إحتمال نسيتها داخل أفرول آخر عند ارتدائى هذا الأفرول قبل القتال.. لا أقدر بالضبط أحدد أين فقدت..؟

وبأكثر سرعة من ردّى عليه سألنى:

- : ماهى بيانات بطاقتك الشخصية ؟

- : أسمى إسحاق إلياهو إسحاق .. تاريخ الميلاد ١٩٤٨/٤/٧ بئر سبع وديانتى يهودية أعمل مدرس لغة عبرية بمدرسة بن جوريون الثانوية ببئر سبع ومحل إقامتى ١٣ ش ٧ بمدينة بئر سبع وفصيلة دمى A وحالتى الإجتماعية متزوج ولى طفل إسمه جاك ورقم بطاقتى ٤٣٢١ سجل مدنى بئر سبع.

ثم نظرت إليه وبصوت أخفض من السابق قلت :

- : أيوجد أى سؤال آخر لأننى أريد أن أستريح ولو بقدر ساعة واحدة.

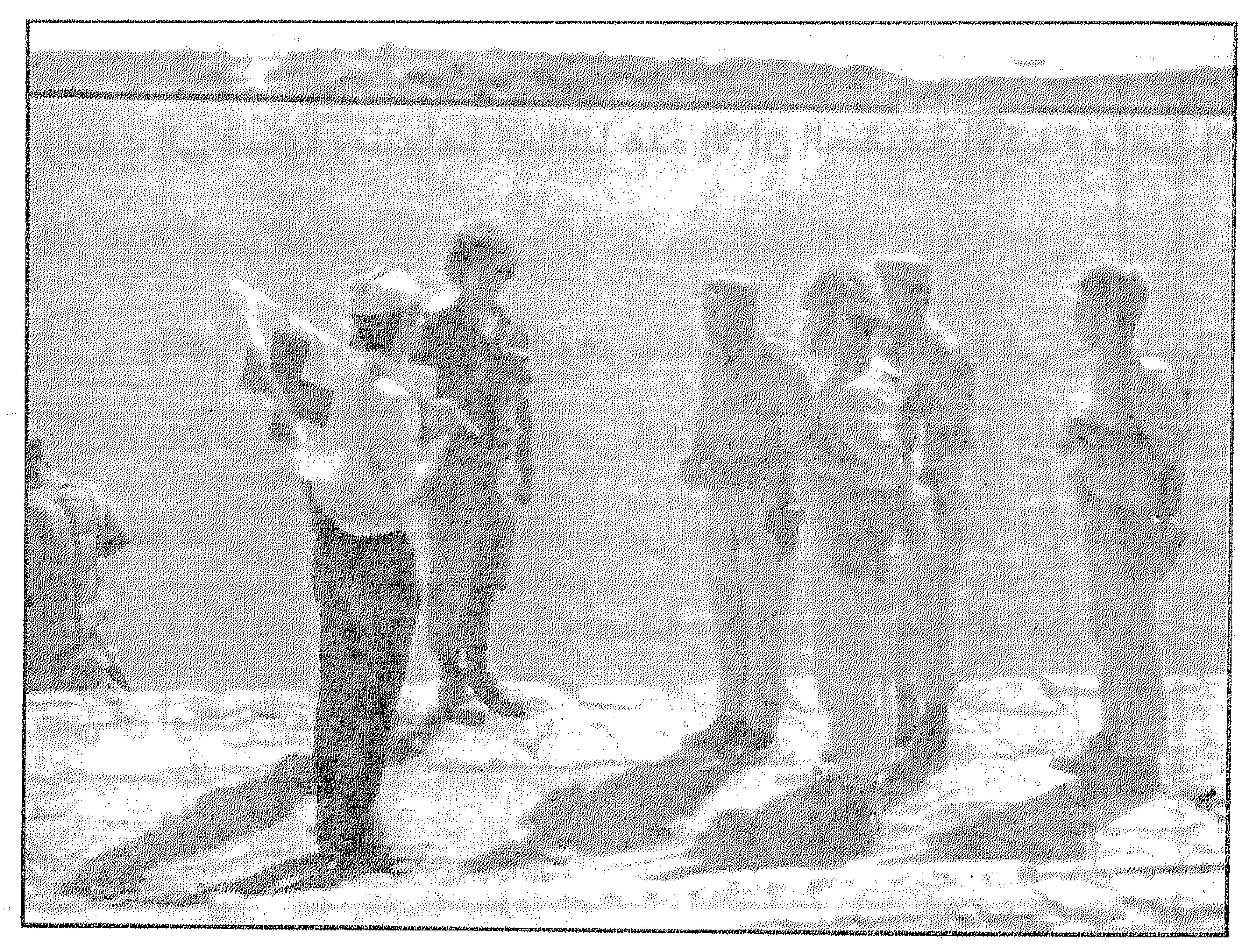
وبمجرد أن أنهيت حديثى دخل قائد الحصن حجرته وأنا أعلم وأنتم بالطبع تعلمون معى مادار من حواربين القائد وقيادته عبر اللاسلكى . ثم خرج القائد ملازم أول دايان بوهر من حجرته وطلب من الجاويش شاؤول الأوراق التى كانت مع الشهيد ملازم أول موشى العازر هكذا قال دايان ان قتيله شهيد.

أحضر الجاويش الأوراق وهى عبارة عن صور خمس وهم كل ماحمله القتيل العازر وقت قتله برصاص زملائه وأهل قومه ، صورة لهيكل الصاروخ

اسكود عن قرب والثانية لحصن مشابه للحصن ١٠١ دمر تدميرًا شاملاً ويحمل رقم ٧٣ والثالثة لحصن آخر يحمل رقم ٥٦ من الداخل سليمًا ويتضح ذلك من صورة حجرة القيادة لم تمس حربيًا لأن قيادة الحصن استسلمت بعد إتمام الحصار عليه والإشتباك معه لمدة يومين اثنين من القتال المتواصل والحصن ٥٦ يقع على الساحل الشرقى لقناة السويس أمام السويس بالقرب من بداية طريق ممر متلا وكان بداخله ٤٢ جنديامنهم ٥ قتلى و٢٠ جريحا تم التسليم والإستسلام فى حضور الصليب الأحمر الدولى ووسائل الإعلام العالمى.

هكذا تشير صورة التقرير الصادر من الصليب الأحمرالدولى وهى الصورة الرابعة أما الخامسة فكانت صورة للملازم أول شلو مواردينست يؤدى التحية للعلم المصرى ويسلم الحصن إلى النقيب فتحى زغلول من الفرقة ١٩ مشاة المصرية ، أسفلها صورة للتسليم فى وجود العلم ذو الصليب الأحمر (شكل ١).





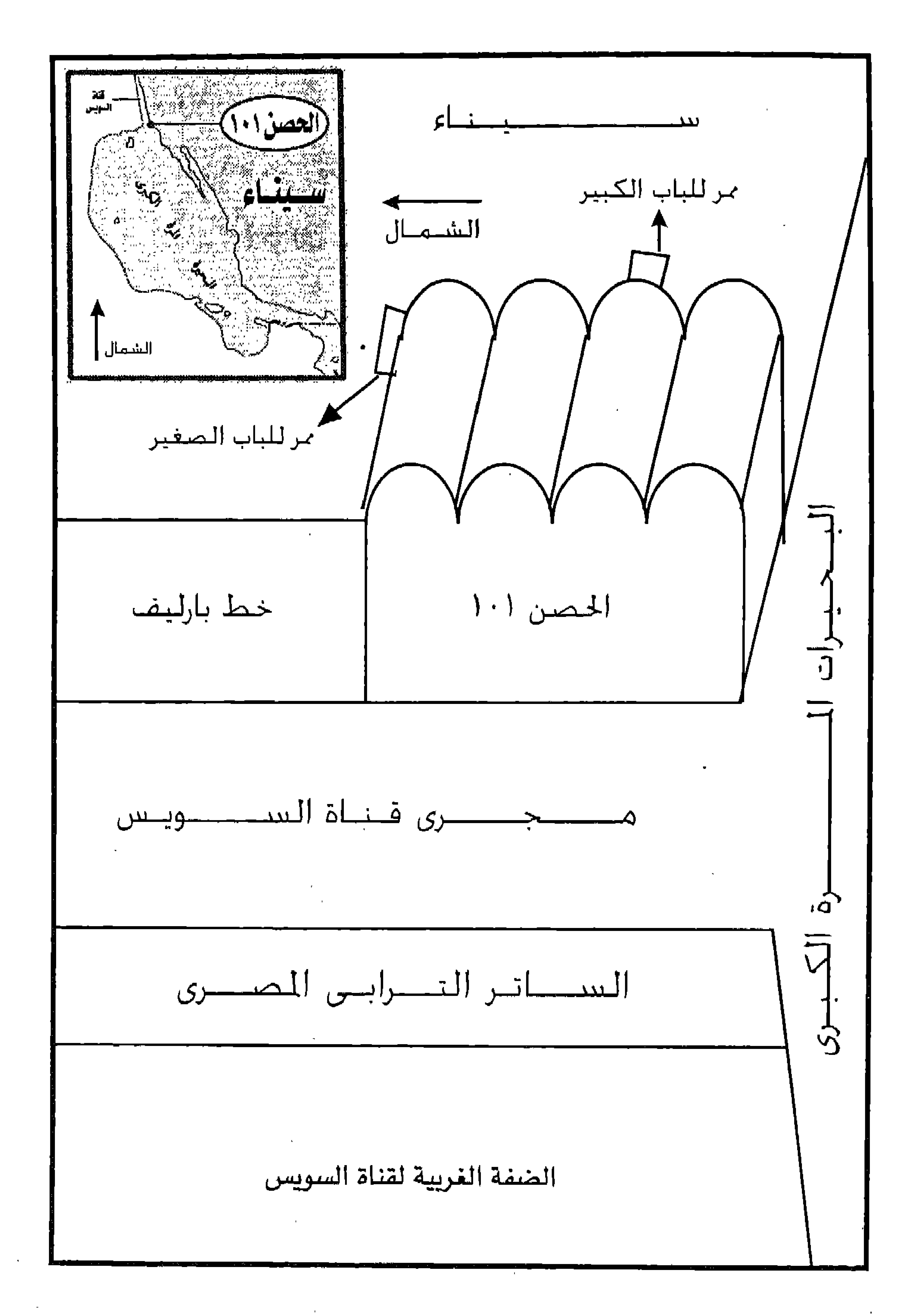
شكل (١) صورة من الصور الخمس التى حملها ملازم أول موش المازر

الصور ملطخة بدماء العازر ومنها من أصيب بالرصاص كما قتل حاملها ولو قدرلها أن تكون لها روحا لزهقت هى الأخرى.

أخذ قائد الحصن الصور الخمس ودخل حجرته وبعد حوالى عشرة دقائق خرج منها ودلف حجرتنا، حجرة معيشة الحصن وأمر الجاويش شاؤول الذهاب معنا لعنبر النوم لكى نستريح ونحن فى طريقنا إلى عنبر النوم شاهدت ماشرحه ووصفه لنا الملازم أول مهندس أنور المحلاوى عندما كنا نضع الخطة (ق).

إن ماقاله المحلاوى باللسان هوماشهدته بالعين والحس بدرجة صواب ١٠٠٪ من واقع الحقيقة إلا أن الكلام والشرح شىء والرؤية والمشاهدة شىء يختلف عنه الكثيرمهما وصلت درجة المصداقية لوصف شىء حتى ولو وصلت إلى قمتها ومنتهاها كحالتنا هذه إلا أن الحقيقة الأكيدة ماهى إلا مشاهدة العين للواقع الملموس.

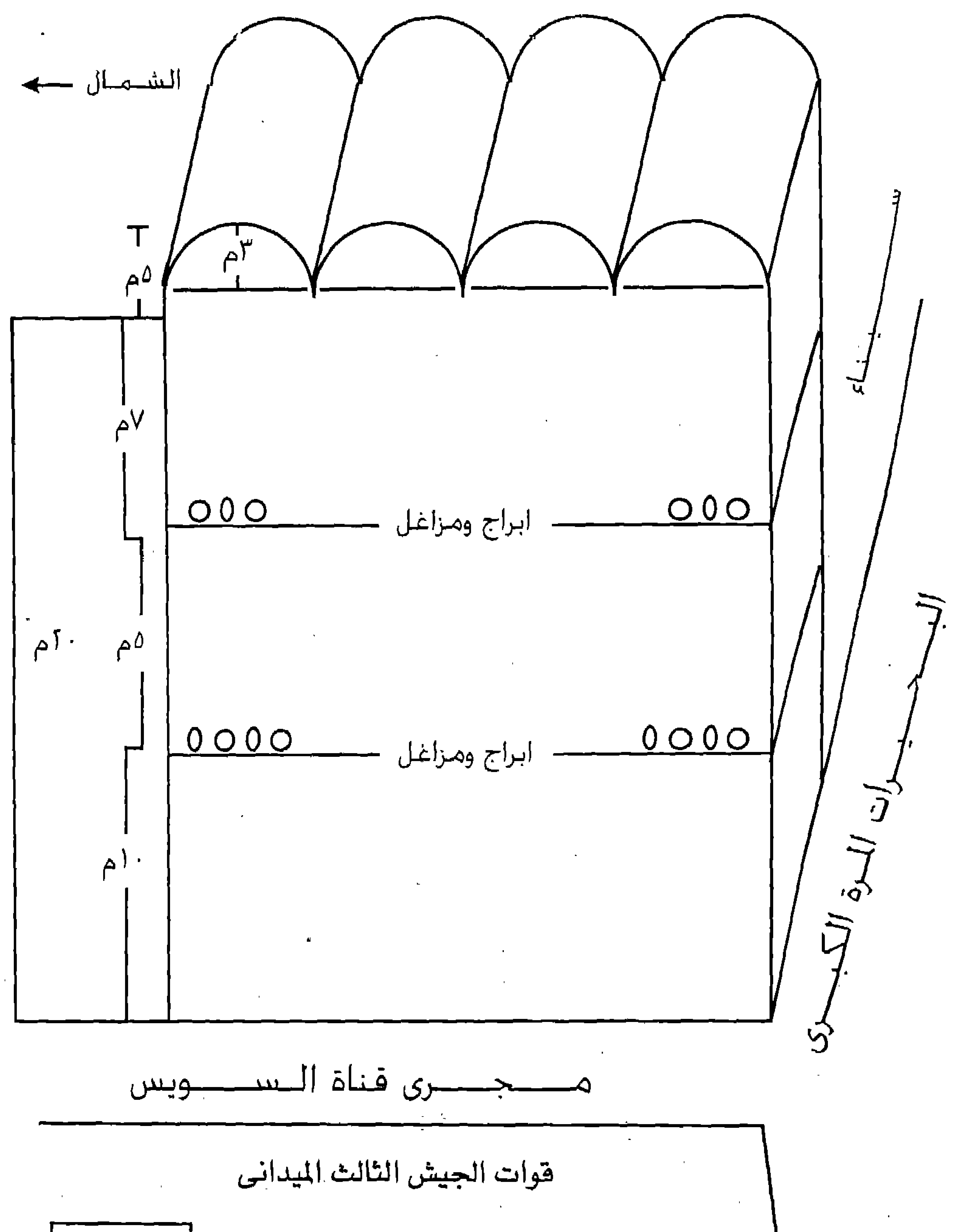
ولكى أصف الحصن ١٠١ وهو يشابه القلاع الكبيرة فى تحصيناته وإمكانياته بل قد يتفوق عليها فى الكثير من الإمكانيات والتكنولوجيا المتقدمة عالية التقنية، وحتى اقترب من الصواب فيجب علىّ أن أكون دقيق المشاهدة والوصف مما يتطلب أن أصفه من الخارج ومن الداخل كمايجب على أن أوضح أبعاده الجغرافية .



شكل (٢) يوضح موقع الحصن جغرافيا

يبلغ ارتفاع الحصن عن سطح البحر حوالى ٢٥ متر أى ارتفاع عمارة قوامها ثمانية أدوار ، يغطى سطحه من الخارج بالسلك الشائك مثبت بأوتاد حديدية كما توجد شبكة من الألغام (الديناميت) موزعة توزيعا تكفى الحماية التامة للحصن وهو يرتفع حوالى خمسة أمتار عن مستوى قمة خط بارليف والذى يحده من الشمال وبذلك يقوم الحصن بالحماية الكافية لخط بارليف بقدر المستطاع لمدى مدفعيته وداناته.

والقوة الضاربة للحصن تتمثل فى الأبراج والمزاغل على ثلاثة مستويات فى البعد الرأسى من الحصن الأول من مستوى السطح العلوى له وسطح الحصن غيرمستو به تضاريس على شكل هضاب ارتفاعها يبلغ ثلاثة أمتار أسفلها توجد مزاغل تمنع أى عملية من عمليات الإنزال الجوى بجنود الأعداء لاعتلائه ثم احتلاله وهذه المزاغل فى مستوى يرتفع عن مستوى قمة خط بارليف بحوالى مترين اثنين وهو قدر يسمح بالحماية الكافية لسطح هذا الخط الدفاعى المسمى بإسم قائد أركان الجيش الإسرائيلى الجنرال بارليف وقت انشاء وبناء هذا الخط . والمستوى الثانى للأبراج والمزاغل على ارتفاع ١٥ متر تقريبا من سطح البحر وهو أقوى من الأول وهويمثل حوالى ٢٠٪ من القوة الضاربة الكلية للحصن وأسفل هذا المستوى بحوالى خمسة أمتار يوجد المستوى الثالث والأخير للأبراج والمزاغل وهو القوة الضاربة الرئيسية للحصن ويمثل حوالى ٧٠٪ من قوة الحصن.



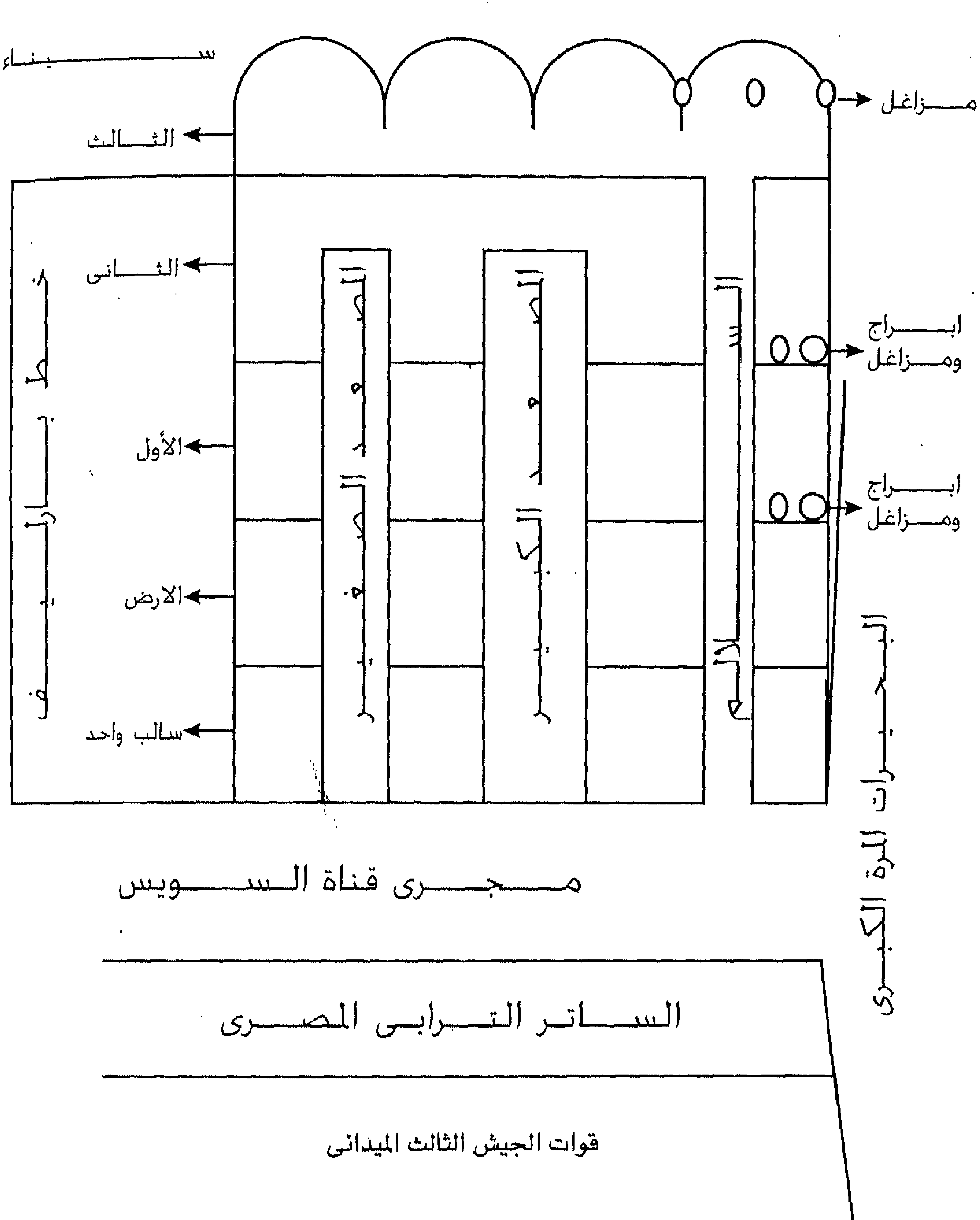
شكل (٣) يوضح مستوى وأبعاد الأبراج والمزاغل
للحصن ١٠١ من الخارج

يقع الحصن جغرافيا وعسكريا فى موقع هام استراتيجيا يحده من جهة الغرب مجرى قناة السويس وكذلك تحيط مياه البحيرات المرة الكبرى جهته الجنوبية أما الجهة الشرقية يوجد ممر متعرج مؤدى إلى الباب الكبير للحصن توجد عند بداية الممر دبابة من دباباتنا المصرية تالفة محطمة من جراء قذف نيران قوة الحصن ومركز وبؤرة الإصابة فيها يتمركز فى جهاز البوجى وهو آلة تشغيل السير الحديدى للدبابة وهو أداة الحركة لتحريك وتسيير الدبابة كما يوجد بها إصابة أخرى ألا وهى برج الدبابة وهو الجهاز الحربى والقيادى فى الدبابة وبالتالى شل جهاز إطلاق نيرانهاكما شل جهاز تسييرها وشاهدت أيضا سيرها الحديدى ساقط بجوارهاومبعثر على الرمال وغالبا كانت هذه الدبابة فى محاولة لاقتحام الحصن، فأصبحت كماوصفتها حطاما لايقدر على الحركة أو القتال. والممر ملتو لايسمح إلا بمرور سيارة واحدة نقل مفردة أى غير قاطرة لمقطورة ولايسمح أيضا بمرور السيارات ذات الشاسيه فائق الطول مثل حاملات الدبابات وهذه السيارات تسمى (الكاميون) وعدم السماح يرجع لوجود أربع منحنيات عاصية المرور نتيجة استقامة الممر يتواصل بزوايا قائمة متعامدة على المنحنى الآخر وهكذا، ويوجد ممر آخر أسفل شرق خط بارليف متعرج وملتو ومؤدى إلى الباب الصغير للحصن وهويسمح بدخول وخروج الأشخاص فقط ويقع فى الجهة الشمالية الشرقية للحصن ومنه دخلت الحصن أنا ودان والقتيل العازر. والممران يرتفعا مستواهما عن سطح الأرض كلما أقتربا من الحصن

حتى أن مستوى فتحة الأبواب تتواجد على ارتفاع خمسة أمتار من سطح الأرض.

والممـران مـبنى جـوانبـهـمـا من الداخل بشكاير مملوءة بالرمـال مع دعامات حديدية رأسية ومن أسفل مبطنة بألواح صاج مضلع الشكل كل هذا لحـمـاية المداخل والممـرات من تفـريغ الهـواء عندمـا تقـذف بـالقنابل فـلا تتحطم ولاتتهدل وتبقى على الدوام فى وضع يسمح بالدخول والخـروج من الحصن.

أما وصف الحصن من الداخل فيوجد رسم توضيحى شكل (٤) يبين الأدوار الخمسة للحصن من الداخل.



(شكل ٤) رسم توضيحي يبين الطوابق الخمسة للحصن من الداخل

يتكون الحصن من خمسة طوابق يحيطه ركام خارجيا بعمق أكثر من عشرة أمتار من جميع الجهات استخدم فيه خليط من الرمال والزلط والدبش والحجارة ، بداخلها ويتخللهاقضبان السكك الحديدية بوضع مستعرض وكذلك الفلنكات الخشبية وأعمدة التليفون والتلغراف الخشبية التى تتواجد على جانبى طرق السكك الحديدية . لقد اغتنموا هذه الغنائم ثمارا طيبا من ثمار حرب خمسة يونيو الفجيع الأليم ، بعد فك خط السكك الحديدية المصرى بدء من كوبرى الفردان على شاطىء قناة السويس الشرقى حتى قطاع غزة الفلسطينى.

وتركيبة هذا الردم تعطى عمق دفاعى عالى الجودة وهو الذى جعل الخبراء العسكريين السوفيت يقولون :

لتحطيم هذا الدفاع من حصون ونقاط قوية وللقضاء على خط بارليف عموما لابد من استخدام قنبلة ذرية فى حجم وقوة قنبلة هيروشيما على الأقل .

ويصل بين الأدوار الأربعة وبداية الدور الخامس سلم داخلى يقع فى الجهة الشرقية من الحصن جنوب الباب الكبير كما يوجد مصعدان اثنان كهربائيان الأكبر يقع فى وسط الحصن تقريبا ، والأصغر فى الجهة الشمالية منه وبابا الحصن يفتحان على الدور الأرضى وهو يعتبر الدور الثانى لأن أسفله دور سالب واحد وفوقه دوران الأول والثانى وهكذاكانت مفاتيح تشغيل المصعد تشير بذلك . الدور الأول والثانى يوجد فى كل منهما

بعيدا عن الجدار بمسافة مترين اثنين سيرميكانيكى على شكل دائرة كبيرة كاملة الإتصال وبذلك يكون الحصن من الداخل اسطوانى الشكل وعرض السير الميكانيكى متران اثنان وهو يشبه سير الدبابة ويعمل بإدارة كهربائية لكى يوضع عليه صناديق الذخيرة والطعام والمشروبات ويقوم بالدوران خلف الأبراج والمزاغل لإمداد وتموين كل منها بعد صعود هذه الإحتياجات بالمصعد الكهربائى الكبير من الدور الأرضى الذى يوجد به المخازن والمستودعات وهذه الصينية الدائرية تسهل عملية توزيع الإحتياجات .

وحتى أوضح صورة الحصن أكثر من ذلك سوف أوضح كل دور على حده.

الدور سالب واحد يوجد به صهاريج السولار والآلآت الخاصة لتوليد الكهرباء وتغيير الهواء وأجهزة التكييف المركزى كما يوجد فيه أيضا صهاريج المياة وطلمبات سحب المياة من باطن الأرض والتى تسمى بالآبار الإرتوازية كما توجد أيضا ماكينات تسحب المياه من صهارجيها لتحلية هذه المياه وتدفعها فى صهاريج مياه عذبة طيبة للشاربين وأخيرا غرفة مغلقة تستخدم كمقابر وبجوارها غرفة المجارى وفيها تدفع المخلفات فى قيسون قطره حوالى عشرة بوصات فى باطن الأرض ثم ترمى فى مياه البحيرة من الجهة الجنوبية من الحصن.

أما الدور الأرضى فتوجد به مستودعات الذخيرة وأخرى للأغذية وغرفة الثلاجات وغرفة لتناول الطعام الرئيسية ملحق بها المطبخ وأخرى للغسيل والتجفيف والكى كما توجد قاعة لاستقبال الزوار وبالجانب القبلى توجد الحمامات.

أما الدور الأول يوجد به غرفة القيادة ومابهامن أجهزة وأدوات فى قمة التكنولوجيا المتقدمة وأعلى ماوصل إليه العلم عالميا وغرفة لمساعد القائد أو كما كتب عليها من الخارج (القائد الثانى)، وكذلك صالة كبيرة للإعاشة بها فيديو وشاشة للسينما وهذه الحجرة جلسنا فيها بعد دخولنا الحصن والتى تم فيها سؤالنا والإستفسارات المطلوبة كما يوجد بالدور غرفة العيادة والصيدلية وغرفة مكتوب عليها مستشفى بها ثلاثة سراير وأيضا يوجد بالدور حمامات فى نفس الجهة القبلية وفى جميع الأدوار وعلى حواف هذا الدور توجد صينية الإحتياجات الكهربائية الميكانيكية الحركة وهى تعمل بنظام العقل الحديدية تدور على محاور كهربائية لخدمة الأبراج والمزاغل التى توجد فى الجهات الخارجية للحصن وهى تمثل القوة الضاربة له.

أما عنبر النوم وهى ست حجرت للأفرد تأوى ستون فردا كل عنبر يسع عشرة أفراد لهم خمسة سراير للنوم كل سريرله دور آخر يعليه أى أن السرير الواحد يسع شخصين اثنين وهذه العنابر توجد فى الدور الثانى كما توجد به أيضا غرفة جمانزيوم فيها جميع الأدوات المستحدثة والمتقدمة عالميا . وكذلك غرفة للإعاشة والتسلية فيهاطاولة بيلياردو وأخرى للتنس كما يوجد عدد من المقاعد حول كل منضدة وعددها خمسة مناضد وعلى الجانب الآخر من فتحة الباب يوجد دولاب فيه أدوات الألعاب المسلية مثل النرد والشطرنج والدومينو والكوتشينة كما يوجد أيضا على حواف هذا الدور نفس صينية الإحتياجات كما فى الدور الأول وعدد الأبراج والمزاغل أقل منه وهى تقع فى الجهة الخارجية للحصن وهى تمثل القوة الضاربة

الثانية لقوة الحصن العسكرية.

أما أعلى الحصن وهو يعتبر الدور الخامس توجد سلالم فقط للصعود إليه توصل إلى المزاغل المتفرقة ولاتوجد أبراج.

والمزاغل وضعت بأشكال وفتحات هندسية أسفل الهضاب السطحية للحصن وهى تستخدم فقط لحماية الحصن من أعلى وتمثل حوالى ١٠٪ من قوة الحصن الضاربة.

وكمية الذخيرة والطعام والشراب والأدوية والسولار المتواجدة بصفة مستديمة تكفى لقوة أفراد الحصن على الصمود والدفاع أمام أى قوة لمدة شهرين دون إمداد أو تموين خارجى وهذا يحصل فقط عندما يكون الحصن تحت الحصار الكامل والتام كما هو الآن.

لاتوجد أى مشاكل بالنسبة لمياه الشرب أو الصرف الصحى على الدوام. بعد هذا السرد فى وصف الحصن وبعد أن تأكدت من قوته الضاربة وبعد أن علمت قبل دخولى فيه إن هذا الحصن قد أغرق العديد من السفن التجارية الراسية منذ ٥ يونيو ٦٧ وكذلك مراكب الصيد التى تواجدت فى البحيرات المرة عند بدء نشوب القتال فهو قادر على الدوام لإغراق وتدمير أى عائم من قطع الأسطول البحرى مهما بلغت من قوة وعتاد بمجرد الإقتراب منه حتى مسافة أربعة كيلو مترات من جميع الإتجاهات من حوله وهو البعد المؤثر لدانات مدفعيته وصواريخه، وحيث أن هذا الحصن هو الأخير من حصون ونقاط خط بارليف القوية حيث أنه الأقوى والأكمل إعداداً وعدة من جميع الحصون الأخرى والذى مازال تحت

القيادة والسيطرة الإسرائيلية لذلك كان القرار السياسى الرياسى هو الإستيلاء عليه مهما كان الثمن والتضحيات.

وهكذا يكون الحصن كما تبين فى تحصين دائم ومستمر من الغارات السماوية والعائمات البحرية والإقتحامات الأرضية - إنه فى تحصين دائم ومستمر جويا وبحريا وبريا.

دخلنا نحن الثلاثة عنبرا من عنابر النوم الستة بعد صعودنا للدور التالى بالمصعد، بالجانب الأيمن من باب العنبر من الداخل دولاب فتحة شاؤول وأحضر لناأفرولين اثنين تم كيهماجيدا وعدد اثنين طقم ملابس داخلية وفوطتين حجم كبير (بشكير) وجوربين ثم أحضر من دولاب آخر بالجانب الأيسر من الباب شبشبين حمام مصنوعين من الجلد الطبيعى وتركناوحدنا فى العنبر ورحل، ذهبنا أنا ودان معا للحمام ودخل كل منا حجرة مستقلة ، أخذت حماما دافئا ، الحمام أرضيته وجدرانه مغطاة بالسيراميك ذى اللون الوردى الفاتح ومقابض الأبواب وصنابير البانيو والحوض من المعدن الأبيض الذى لايصدأ ، البانيو وحوض الغسيل وقاعدة التواليت والسيفون المعلق عليها من الخلف من الصينى ذى اللون الوردى الفاتح ماركة إيديال استاندارد كمادون عليهم بالكلمات العبرية وشعار الماركة المسجل عالميا ولونهم أفتح درجة من لون بلاط الأرضية والجدران وبذلك يعطوا توافق تام فى اللون وراحة العين وهو مايسمى بالإنجليزية (الكونتراست).

استعملت شامبو الشعر المتواجد على رف البانيو الخاص لنوع شعرى وهو الجاف وتركت الشامبو ضد القشر وللشعر الدهنى وباللانولين والأربعة متواجدين على رف البانيو كما استعملت شامبو الجسم ذو رائحة

الفل دون الشامبوهات ذوات الروائح الأخرى مثل الياسمين والبوكيه والقرنفل.

عموما حجرة الحمام تضاهى أعظم حمامات الفنادق التى تحمل النجوم الخمس .

ثم عدت لعنبر النوم، وجدت دان قد استغرق فى نوم عميق فردت جسمى على السرير المجاور لدان ممددا فى دورة الأول، أخذت فى مداعبة جفون عينى فى القفل ومرة فى الفتح وأخرى فى التغميض لكى استريح بعض الشىء. إنى أحتاج الراحة أيا كانت هذه الراحة ، الراحة الجسمانية ومن قبلها احتاج راحة التفكير ولأننى مشغول البال.. مشغول بالعملية (ق) ذهبت راحة التفكير بعيداً عنى وحصلت فقط على راحة الجسد، إن راحة التفكير هى الراحة الأم إذا حضرت عم الإنسجام النفسى والعاطفى مهما كان الجسد منهك بدنيا أو عضوياً .

أخذت أبتعد بتفكيرى الذى لم يهدأ ولو للحظة واحدة.. ابتعدت به عن الواقع الذى أحياه الآن.. وأخذ تفكيرى يبتعد عنى رويدا رويدا حتى وصل محطة رجوعى من الأسر يوم ١٩٦٧/١٠/٢١ يوم تدمير المدمرة إيلات الإسرائيلية بصواريخ لنش مصرى وهى أول مرة فى التاريخ العسكرى، لنش بحرى صغير يتغلب ويقهر ويدمرمدمرة عملاقة ترهب وترعب كل ماهو يطفو أو يغوص فى البحار بل خارج البحار على اليابسة فى البر أو طائرا فى الجو.

هكذا كانت المدمرات الحربية فى العالم أجمع قبل يوم ١٩٦٧/١٠/٢١ رأيت وجوه الأهل والأصدقاء والزملاء مختلفة عما

عاهدتهم عليه قبل ذهابى للقتال ، لقد تسلل وتخلل الهم على وجوههم .. تسلل وتخلل الحزن تحت جلودهم.. تسلل وتخلل النكد فى نفوسهم هكذا أصبحوا جميعًا بعد طرد جميع الأفراح والسرور والحبور بعيدا عنهم خارج حدود وإمكانيات البشر.

أخذت الأتراح والأحزان تتوغل فى أعماق النفوس حتى أصبح الجندى المصرى رمزًا للذل والهوان.

لقد سمعنا جميعا الكثير من النكات التى تحرق الشعور والأحاسيس بعد أن أحرقت النفوس والأبدان .

سمعنا من الشعب المصرى خفيف الدم والظل التى اعتصرته الهزيمة والقهر فأخذ يعبر عنها بالنكات جانبا والقفشات جانبا آخر وسمعنا من إخواننا العرب فى شتى بقاع الدنيا وغير العرب مالم يكن يقدر أحد أن يقوله أو يتفوه به من قبل .

لقد عيرونا من قبل وعقب العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ بتنازلنا عن ضعف ودون إرادة منا عن شرم الشيخ التى أصبحت إسرائيلية بعد احتلالها منذ هذا التاريخ وباحتلال تلك القرية الصغيرة والتى تقع على مضيق تيران المتحكم فى خليج العقبة الزراع اليمنى للبحر الأحمر والمنفذ الوحيد لخروج ودخول السفن والبواخر لموانى الدول المطلة على هذا الذراع ومنها إسرائيل .. هذه القرية الصغيرة والتى أصبحت مدينة حينئذ أعطت إسرائيل حرية كاملة للملاحة لتجوب بأساطيلها التجارية والعسكرية مياه البحر الأحمر جنوبا.. هذه المدينة سمحت لسفن وبواخر إسرائيل أن تمخر شامخة مطمئنة عباب البحار والمحيطات الجنوبية الدافئة .

واليوم نسمع من الداخل في وطننا ومن الخارج في شتي بقاع المعمورة أكثرمن المعايرة والإستهجان .. نسمع كثيرا من التطاول والإستحقار إن المصري قد عبر عن نفسه بالنكات لتكون مصدرا مهمًا من مصادر التنفيث والهروب والتعبير وحتي لاتحترق قدور الصدور المتجمرة.. وحتي لاتنفجر النفوس المتأججة التي أمرضتها وأتلفتها وأحرقتها الهزيمة الدانية القاسية.

عندما يشتد الضيق والغيظ وتضيق حلقاته وتلتف حول الأعناق والجيد.. عندما لاتبدو أن هناك حولة ولاقوة بعد إتيان الفعل دون إرادة ولايتصدي لهذا الفعل الرد المناسب في القوة والمقدار لعدم وجود الإرادة مسبقا.

هنا يتواجد الضعف في أدني درجاته ليصل إلي مرتبة الذل والهوان حيث الملجأ والملاذ وحتي يستريح الجسد وتستريح النفس معا تخرج النكته تعبيرا صادقا من العقل والفكر قبل أن تخرج من الفم واللسان .

لقد تواري ضباط الجيش المصري وأنا منهم وجنودهم بملابسهم العسكرية عن أعين شعبهم خشية القفشه المبتسمة وهي أقل ألما وعذابا من النكتة الضاحكة الباكية الدامية.

بالأمس في الأسر دفنت رتبتي العسكرية خوفا من الأعداء واليوم أدفن عسكريتي خوفا من شعبي وأهلي.

حتي إن اللباس والزي العسكري يري فقط داخل المعسكرات والإدارات العسكرية وعند خروج العسكريين من معسكراتهم وقشلاقاتهم يخلعون الزي الميري ويلبسون كل ماهومدني.

ومع تقدم الوقت تطاولت ألسنة الأهل والأصدقاء علي ابنائنا وبناتنا.. تطاولت الألسنة علي أزواجنا بعد أن تطاولت علينانحن العسكريين.

حتي انطبق علينا قول الشاعر:

وظلم ذوي القربي أشـــد مرارة

علي النفس من وقع الحسام المهند

التحقت بكلية آداب القاهرة قسم اللغات الشرقية تخصص اللغة العبرية إيمانا مني بأن طلب العلم يمتد من المهد حتي اللحد، وإيمانا مني أيضا لمعرفة العدو جيدا وهذا يتطلب معرفة لغته.. اللغة التي سمعتها كثيرا وقت أسري في متلا والعريش وكنت لا أفهمها ولا أدركها.

لقد فهمت معاني بعض الكلمات العبرية من تكرار سمعها ورد فعلها.

لقد التحقت بالكلية منتسبا سنة ١٩٦٨ وذات مساء حضر لمنزلي الملازم أول منير خير الله ومعه الملازم أول نعيم الغرابلي زميل دفعتي بعد أن رقي معي إلي رتبة الملازم أول بالأقدمية المطلقة ومنير زاملني وشاركني الأسر وأخذ الحديث يتطرق فيما بيننا حتي أن ذكر نعيم معركة رأس العش ومنه عرفت أنه شارك فيها.. المعركة التي انتصرنا فيها انتصارا أعاد للجندي المصري بعض الشيء من كرامته ورجولته وعسكريته.

هكذا كان الغرض من حرب الإستنزاف هو إعطاء الكثير من الفرص لإثبات وجود الجيش المصري وإثبات الذات للجندي المصري وفي نفس الوقت إتاحة الفرصة لمعرفة العدو معرفة حقيقية ليس فيها التهويل والإكبار ولايشوبها التقليل والتحقير.

في حرب الإستنزاف عرفنا معني النصر العكسري علي إسرائيل وكان هذا أول مرة في حياتنا نستطعم مذاق النصر حتى ولو كان هذا النصر محدودًا وصغيرًا.

عرف الجندي المصري كيف يواجه الإسرائيليين وجها لوجه بعد أن أصابه الكثير من العقد والمخاوف حتي تصورت الأكثرية والغلبة من العسكريين المصريين أن الإسرائيليين فوق الهزيمة ومع النصر في تحالف دائم ومستمر.

لا أنسي ماقاله نعيم ذات الليلة عن حرب الإستنزاف ومادار فيها قال:

- : حرب الإستنزاف لها تأثير كبير جدا علي روح جنودنا المعنوية ياريت كنت معنا يامحمود في معركة رأس العش.

أعتدلت علي مقعدي ونظرت إليهما وقلت :

- : كنت معكم بقلبي وعقلي وبآمالى العريضة المستقبلية ..

وكما قال إيليا أبو ماضى :

وكيف تطيب الحياة لقوم

تسد عليهم دروب المنى

بعد برهة من الصمت والتأمل قال نعيم :

- : الروح المعنوية ارتفعت بعد رأس العش كثيرا .. ظهر ذلك على وجوه الزملاء والجنود .. ظهر جليا في أحاديثهم بعضهم لبعض.

يقاطعه منير مخاطبًا بصوت أكثر ارتفاعًا حاد النبرة فقال:

- : الأوباش الإسرائيليين في حالة عكسية بالنسبة للمعنويات المصرية حرب الاستنزاف أفاقتهم من نشوة الانتصار إلي حد ما .

وبشيء من التفكير واسترجاع الأحداث قلت:

- : منذ عودتنا من الأسر يامنير ونحن في انتصار مستمر .. صحيح الإنتصارات صغيرة ولكن المحصلة ماشاء الله.. في ازدياد دائم

وبنفس النبرة الحادة قال منير :

- : في الكنيسة بندعوا وفي مساجدكم بتدعوا.. أليس فينا رجل مؤمن مستجاب الدعوة.؟

نظرت إليه ناطقا بإجابة هذا الإستفسار وليس بالسؤال فقلت:

- : عندما عزم صلاح الدين وأعد العدة بقدر الاستطاعة الممكنة لتحرير القدس من ايد الصليبيين صرخ في الناس قائلا :

(اريد سيوفكم لا دعاءكم)

ثم قلت : الدعاء قبل نفاذ الأسباب غيرمستجاب

فقال نعيم مقاطعًا :

- : نحن فى أول طريق من طرق بلوغ الأسباب ألا وهو إعداد المقاتل المصري معنويا ثم بناؤه عسكريًا مرة ثانية

قلت : الحمد لله إننا لم نبدأ من الصفرلوجود ثوابت وشوامخ عسكرية منها من أتلف تلفًا بسيطًا ومنهامن انهال عليه الغبار والتراب ومنهامن هوشامخ يصد الطعنات المادية والمعنوية

وإذابمنير يوجه سؤالاً لي :

- : أخبار الجامعة إيه ؟

أجبت علي السؤال وأنا مازلت اتمتع بالهدوء فقلت :

- : هناك شبه ارتباط مابين طلبة الجامعة وحرب الاستنزاف .. تجلي هذا الارتباط يوم وداع الشهيد الفريق أول عبد المنعم رياض.. أخذت المظاهرات تسير خلف الجثمان من مسجد عمرمكرم بالتحرير حتي مسجد الكخيا بالأوبرا وهي تهتف بالروح بالدم نفديك يامصر .. في جنة الخلد يارياض.

قال نعيم بصوت عميق مؤثر :

- : إن الجيش الذي يستشهد قائد أركانه بين جنوده علي جبهة القتال لجيش قادر علي النصر والإنتصار.

أتذكر الآن أن هذا الحديث بيننا نحن إلثلاثة قد دار في شهرمارس سنة ١٩٦٩ لأن القوات المسلحة المصرية اتخذت التاسع من مارس تاريخ استشهاد الفريق أول رياض عيدًا للشهيد.

وأعود إلي الحديث مع منير ونعيم في تلك الليلة من ليالي الربيع والربيع هو فصل التوالد والإنبات.. فصل خروج البراعم والأزهار وإذا بمنير يقول:

- : محافظات القناة الثلاث أصبحت خالية من السكان.. تم تهجير الأهالي وتوزيعهم علي بقية محافظات الجمهورية وخاصة المحافظات القريبة والغنية وأصبح يطلق علي هؤلاء (المهجرين).

قمت بتقديم فنجان شاي لكل من منير ونعيم ثم قلت :

- : التهجير قرار سليم لاستمرار حرب الإستنزاف .. لقد كان العدو يضغط علي القيادة السياسية والقيادة العسكرية المصرية الجديدة بضرب المدنيين في المحافظات الثلاث ردا علي هذه الحرب وعملياتها العسكرية المتكررة الناجحة.

وإذا بنعيم يقول :

- : التهجير شيء فظيع .. بيوت أصبحت خرابا وشوارع بعد أن كانت تعج بالمارة والمشاة، أصبحت خاوية علي عروشها.. وتحلق البوم علي المساجد والكنائس ويسمع صوت نعيق الغربان بدلاً من صوت الأذان ورنين الأجراس.. هذا هو السالب الظاهر من سوالب حرب الإستنزاف ، أما السالب الأعظم لهذه الحرب هو البعد الإجتماعي لأهالي تلك المحافظات الثلاث.

بعد أن انتهي منير من تناول الشاي بآخر رشفة منه قال:

- : إن الدولة لم تدخر قرشا واحدا ولم تبخل علي الأهالي بشيء بل صرفت المساعدات الإقتصادية العينية ومنحت الأهالي الإعفاءات الكلية في شتي صورها بالرغم من ظروف الدولة اقتصاديا وبإمكاناتها المحدودة لوقوفها في حالة حرب أمام العدو .

فقال نعيم مخاطبا وهو ينظر اتجاهي :

- : لاصوت يعلو فوق صوت المعركة هذا هو شعار الفترة التي نعيشها ونحياها الآن .. سواء كان هذا الصوت اقتصاديا أم اجتماعيا.

أخذت نفس عميق وأجبت شارحًا:

- : تصوروا كيف تعيش وتحيا أسرة في المهجر مكونة من زوج وزوجة وأبناء منهم فتيان في سن الشباب مع أخواتهم الشابات في حجرة واحدة.. كيف تمارس العلاقة الزوجية بين الأب والأم ؟ .. علماء الأحياء قالوا إن أي كائن حي سواء كان نباتا أم حيوانا أم إنسانا عندما يستشعر الخطر ويقترب من نهايته يتجه إلي التكاثر الجنسي وتتعاظم الغرائز الجنسية حباً في البقاء واستمرارا في الحياة.. لكما أن تتصوروا ممارسة الجنس علي مشهد غيرمباشر تحس وتشعر به أنوثة الفتاة مع شقيقها الشاب المراهق النائم بجوارها من جراء أفعال الوالدين.. لكما أيضا أن تتصورا شهوة المراهقين الجنسية مع الطيش الجنوني وعدم الإدراك الكافي .. أكيد نشبت علاقات آثمة بين الأخوة والأخوات.. وهم لايسعون لها بل فرضت عليهم فرضاً لأن حالتهم وحالة أسرتهم الإجتماعية والإقتصادية لم تقدرا أن تفرق بينهم في المضاجع.

وإذا بنعيم يقاطعني ويقول :

- : نقدر أن نقول إن حرب الإستنزاف نجحت عسكريًا ولكنها أخفقت اجتماعيًا.

قاطعه منير بصوت عال نوعًا ما قائلاً :

– : دائمًا الإنسان الفقير في أي حرب يكون الضحية الكبري.. علما بأن الحرب لاتفرق بين الغني والفقير.. إنهما ضحايا الدمار والخراب معا.

وضعت ساقًا فوق الأخري وقلت :

– : انتشرت الدعارة بين الفقراء كما انتشرت بين فقيراتهن وأبناء الأغنياء للحاجة والإملاق.

وفعل منير نفس فعلي ووضع رجله فوق الأخري وقال :

– : ساعات الظروف بتكون أقوي من القيم ومهما قيل عن الدعارة والهبوط هناك الشرف والعفة متعانقان مع الفقر المدقع ومع الحاجة الملحة في بيوت الفقراء والمحتاجين لأن الإيمان بمعناه الواسع هو السياج الواقي ضد كل المحن والنكبات.

فقلت واقفًا قبل ذهابي خارج الحجرة:

– : لاشك في ذلك وأنا أؤكد أن ماقلته حصل في بيوت قليلة ولكن الدنس الأسود مهما صغر يظهر بوضوح علي الثوب الناصع البياض.

سمعت صوت أقدام تقترب من العنبر وإذا بصوت شاؤول وهو يحدث جندي لكي يتبعه وإذا بدخوله عنبر نومي بعد أن طرق الباب وأذنت له بالدخول، سأل عن أحوالي وهل أريد شيئاً ؟

أجبته بصوت عال نوعا ما لأنني مازلت مشدود الأعصاب لمعيشتي في حالة الأحداث التي تذكرتها قبل طرقات الباب.

فقلت له:

– : من فضلك أريد فنجان شاي فيه معلقة سكر واحدة .

فسأل شاؤول

– : سيادة الملازم أول دان كيف حالته ؟

أجبته بشيء من الإختصار فقلت :

– : الملازم أول دان لم يقل شيئا، عند رجوعي من الحمام وجدته نائما كما هو الآن .

ورحل الجاويش شاؤول والجندي عن العنبر وبعد قليل حضر الجندي وبين يديه صينية من المعدن الأبيض الذي لايصدأ وعليها إبريق صيني فيه الشاي وبجانبه معلقة صغيرة من المعدن الأبيض كأنها من الفضة بجوار الفنجان الصيني ذو الوردة البمبي علي الأرضية السماوي الزرقاء.

كما يوجد بنهاية الصينية من الطرف الآخر سكرية بالغطاء والجميع من طقم صيني فاخر جيد الصنع عالي الجودة.

وبعد احتسائى الشاي وجدت صورة زوجتي تطوف بخلدي.. أتذكرها يوم أن رأيتها في الكلية قبل امتحان الليسانس بحوالي ستة أيام.. إنها هي أمل التي كانت تسكن في شقة أسفل شقتنا في منزل ملك جدتي بحي

عـابدين .. إنهـابنت عـمي حـافظ الحلبي من حلب الشـهـبـاء من سـورية الشـقيقـة.كانت هذه الجيرة منـذ سنوات.. في الستينيات علي مـا أذكر سنة ١٩٦٠ كان عمري اثنتي عشرة سنة وكانت أمل تصغرني بثلاث سنوات .

آنذاك كـانت مـصـر وسـوريا في وحـدة واحـدة يحكمـهاحاكم واحـد هو الزعيم جمال عبد الناصر .. وقتها كانا في اندماج تام وكامل، عمي حافظ أبو أمل يعمل بالتـجـارة ، تجارة اليـاميش السـوري من قـمـر الدين والتين والفسـتق يأتي به من سـورية إلي مـصـر ويرسل من مـصـر الكثـيـر من الأرز والبقول الي سـورية ، هكذا حـال التجار وهكذا دائمـا حال أهل الشـام. إنهم أهل تجارة ودائما تأتي الشطارة مع التجارة في انسجام تام لديهم .

تقـدمت إلي أمل وعرفتها بنفسي فـرحبت وفـرحت بي كفرحـة الطفل عندما يحضـر والداه بعد طول غياب، أنها في مصر بمفردها أتت اليها طلبا للعلم.. بعيـدة عن أهلهـا القـاطنين حلب الشـهـبـاء.. أتت لكي تؤدي امـتـحـان الليسانس مثل كل سنة من السنوات الثلاث المنصرمة .

كانت أمل تلبس فسـتانـا أبيض أنيـقا إلا أنه جـعلهـا أكثـر امتلاء، إنهـا بيضـاء البـشـرة مـتـوردة الوجـه، والخـدين أكثـر إحـمـرارا مثل أهـل سـوريا، شعرها ذات لون كستنائي طويل ناعم مسترسل علي ظهرها وكتفيها وعينيها تميلان للزرقة أكثر من الاخضرار سألتها :

- : في أي مكان تسكنين في القاهرة ؟

اجابت وهي تنظر لأسفل فقالت :

- : في فندق كليوباترا بميدان التحرير.

وقتها دارفي خاطري الملكة كليوباترا وماتتصف به من جمال ودلال ودهاء إنها تشبه أمل في جمالها ودلالها إلا أن أمل لاتشبهها في مكرها وخداعهاوعشقها.

في التو واللحظة خطر لي أن أتزوج أمل لكي تكون زوجة الضابط المصري قدري محمود بخلاف كليوباترا عشيقة القائد الروماني أنطونيو.

سألتها بشيء من الحنان فقلت :

- : في أي قسم تدرسين ؟

تلعثمت الكلمات بين شفتيها وأجابت :

- : أدرس في قسم اللغة الإنجليزية وآدابها.. وحضرتك؟

أجبت بشيء أكثر حنانا فقلت :

- : في قسم اللغات الشرقية تخصص لغة عبرية.. لغة الأعداء .

سألتني بشيء من الإستغراب فقالت :

- : لماذا تأخرت في الدراسة ولم تتخرج حتي الآن ؟

قلت لها مبتسما :

- : تخرجت في الكلية الحربية سنة ٦٧ وأشتركت في القتال وأسرت في سيناء وها أنا الآن في السنة النهائية بالآداب.

قالت مسترسلة في الحديث:

- : رحلتك رحلة شاقة وصعبة بالرغم من صغر سنك لقد كنت

دائما متفوقًا في دراستك عندما كنا في المرحلة الإبتدائية معا في مدرسة أحمد عرابي بجوارسكننافي عابدين .. إنني أتذكر هذا جيدا .. لأنه تاريخ والتاريخ لاينسي.

وذات مساء قبل رجوعها سوريا قمت بزيارتها مع والدتي الست أم محمد وشقيقي محمد وزوجته ليلي جلال في الفندق المقيمة فيه كانت الزيارة لها معنيان اثنان لاثالث لهما المعني الأول هو السؤال عن الجارة القديمة ولها علينا حقان الأول حق الجوار والعشرة الطويلة والثاني حق الأخوة في الإسلام والمعني الثاني هو رؤية أسرتي لها قبل طلبها للزواج من والدها .

لقد تركت أمل في نفوس الجميع الأثر الحسن والانطباع الجميل ثم سافرت إلي أهلها في سورية .

وليلة ظهور نتيجة الليسانس اتصلت بى تليفونيا لتخبرني بأنها بالقاهرة في نفس الفندق، وتواعدنا علي الذهاب باكر إلي الكلية، ونجح كل منا وحصل علي شهادة الليسانس دفعة سنة ١٩٧٢ لا أنسي فرحتها بنجاحها ونجاحى، لقد سرت بنجاحي أكثرمن سرورها بنجاحها هكذا عبرت عن شعورها وهكذا كان إحساسي وشعوري.

دلفنا خارج أسوار الجامعة وأخذنانسير بالأقدام حتي أن وصلنا إلي كورنيش النيل والكلام يشدنا إلي المزيد والأحاسيس تزداد تأججاً وسعيرا .. والأيدي تتشابك حباً وحنانًا والأصابع تذوب رقة وطربا كلما ضغط عليها من أنامل الآخر تبوح ولاتخفي سراً.

مشينا متشابكي الأيدي يمناي تعانق يسراها شوقاً ويسراها تحتضن

يمناي حناناً.. تلاصقت الأكتاف بعد أن تلاحمت الأجناب هكذا كان حالنا منذ خروجنا من الحرم الجامعي هائمين في الشوارع والطرقات كأننا نقول للعالم أجمع أننا معا وعلي الدوام.

علي مائدة من موائد فندق سميراميس العريق العتيق المطل علي نهرالنيل الخالد.. خالد خلود الدهر، جلسنا متقاربين نسترجع ذكريات سنوات الدراسة منذ الطفولة ووصلنا إلي فبراير سنة ٦٨ وعندئذ قالت أمل:

– : الطلبة في مصر قاموا بمظاهرات عقب نشر أحكام قادة سلاح الطيران .

أخذت رشفة من فنجان الشاي ثم قلت :

– : عقب هزيمة ٦٧ أحالت القيادة السياسة بصفتها القيادة العليا للقوات المسلحة المصرية الفريق أول طيار صدقي محمود قائد سلاح القوات الجوية هو وبعض مرءوسيه من مختلف الرتب والقيادات لأنها رأت قصور في أداء ومهام تلك القيادات أثناء إعداد وسير العمليات العسكرية.

فسألتني أمل مستغربة :

– : فلماذا خرجت المظاهرات ؟!

أجبتها قائلا :

– : الأحكام اللي نشرت كانت لاتتناسب مع حجم الكارثة.

استمرت أمل في إلقاء الأسئلة فقالت :

- : أليس هو العدل حيث يطبق القانون ؟!

وبنفس نبرات صوتي أجبت فقلت :

- : هذه الأحكام تقديرية حسب رؤية القاضي.

فنظرت إليّ بدهشة وقالت :

- : فلماذا إذن أعيدت المحاكمة مرة أخري؟!

أجبتها ومازلت أنظر إليها معجبًا بما تقول فقلت :

- : هناك قضايا جماهيرية تتحكم فيها آراء ورغبة الجماهير لأن إرادة الشعب دائما فوق نصوص القانون .

قاطعتني قائلة :

- : هناك سبب آخر لقد حوكم جاويش بالأشغال الشاقة المؤبدة كمالوأنه هو السبب الرئيسى في النكسة.

أمسكت يدها اليمني كأنى أطلب منها السكوت لكي اتحدث فقلت :

- : توجد أسباب أخري للمظاهرات منها حصيلة فكر التنظيم الطليعي للاتحاد الاشتراكي لتحريض شباب المنظمة وكذلك الجماهير العريضة للخروج في الشارع لأمتصاص غضب الشعب.

نظرت إليّ ثم أدارت عينيها بعيدًا وأخذت تفكر بشيء من التأمل

واسترجاع مامضي فقالت :

- : هذا الغضب ظهرمرة أخري في نهاية عام ٧١ عام الضباب

ووضع الجرسون أمامي فنجان قهوة مضبوط ووضع أمامها علي المنضدة كوب من عصير الليمون ثم انصرف فقلت لها :

- : القيادة السياسية الجديدة حددت عام ٧١ وأسمته عام الحسم لإزالة آثار عدوان ٥يونيو ولكن هناك ضباب قد حجب الرؤية .. هناك متغيرات عالمية طفت علي السطح.

بعد أن وضعت كوب الليمون فارغا علي المنضدة قالت:

- : تقصد الحرب في شبه القارة الهندية وانتصار السلاح الشرقي علي عتاد الغرب.

قلت بكلمات مسرعة

- : نعم الغرب وعلي رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية لن تسمح مرة أخري لهزيمة سلاحها عالميا .

قامت أمل من مقعدها وانتقلت لآخر بالجانب الأيمن من مقعدي ونظرت إليّ فقالت :

- : ولذلك اتفق الغرب مع الشرق فيما بعد علي جعل منطقة الشرق الأوسط تحظي بالاسترخاء العسكري بدلا من التوتر والتصاعد العسكري حتي لاتقوم حرب أخري في المنطقة .

- : هو بالضبط .. وهذا مانعيشه ونحياه الآن ولكن عن قريب سوف يتم الحسم بإذن الله تعالى.

وضع الجرسوم لي فنجان آخر من القهوة علي المائدة ثم انصرف فرشفت منه رشفة ثم قالت:

- : التيار الديني الآن والذي حلّ محل منظمة الشباب الإشتراكي في الجامعة وغيرها له رؤية مخالفة لماتقول.

- : إن مايطلق عليهم اسم الجماعات الإسلامية لاتخضع لقيادات مؤهلة واعية وهم المسمون بالأمراء.

نظرت إلىّ وقالت :

- : أليس حاكمكم هو الذي بارك إنشاء ونمو تلك الجماعات للقضاء علي التيار الاشتراكي

- : الجماعات تخضع لقيادات عليا كثيرًا ما تختلف مع القيادة السياسية في الوسائل للوصول إلي الغاية المرجّوه.

إنها تريد التحدث معي في كافة المواضيع لكي تسمع كلامي وآرائي ولكي تطيل الجلوس سوياً وفي نفس الوقت تريد معرفة مايدور في عقلي وفكري ولذلك فهي تكثر من الأسئلة التي تعرف إجابتها ولكنها تريد أن تسمع الإجابة علي شفتي ولساني فقالت :

- : إذن الرؤية الدينية تختلف مع الرؤية السياسية وهو ماقاله رئيسكم:

يجب إبعاد الدين عن السياسةوأيضا إبعاد السياسة عن الدين.

فقلت مقاطعًا :

- : ليس هذا بالضبط ولكن قيادة الجماعات وأيضا زعماءالأخوان المسلمين يريدون الوصول للحكم وهذا هو غاية المراد لهم وعلي الدوام منذ نشأتهم.

وبعد أن أكملت ما أقول قالت:

- : تاريخ الإخوان يؤيد كلامك وكذلك اغتيالاتهم المتكررة للسياسيين المصريين منذ إنشاء تنظيمهم.

استرجعت مقعدي قليلا للخلف وأعدت الجلوس عليه بعد وضع ساقي اليمني علي الأخري ثم قلت :

- : مايدعون المعرفة بالدين ويزجون به في السياسة لعبة خطيرة العواقب .. يشوبها ويحفها كثيرًا من المخاطر والآثام فترتد أولا وأخيرا علي جماهير شعبنا المسالم.

نهض « دان » من نومه العميق سألني بصوت عالي النبرات تخرج الحروف من فمه مرتجفة خائفة تريد أن تعرف أين هو؟! تريد أن تعرف ما المستقبل؟! هدأت من روعه وطلبت منه أن يتحلي بالتماسك والشجاعة فرد قائلا:

- : الإستسلام .. لابديل عن الإستسلام مهما كلفنا ذلك من تضحيات.

قلت بكلمات تنطلق من فمي أكثرسرعة .

- : إن لم نستسلم سوف نقتل وندمر كما دمر الحصن ٧٣ وأنا شاهدته رؤية العين .

فقال خائفا بل أكثر خوفا من قبل :

- : لا أريد الموت .. أمي تنتظرني وكذلك أبي وأيضا أنا اتطلع الي الترقية والمستقبل السعيد .

فقلت له وأنا أظهر خوفي حتي أشبعه خوفاً ورعباً.

- : الحروب لاتعرف العواطف والقيم.. لاتعرف إلا الموت والحرق وغايتها الدمار والخراب

نهض « دان » واقفًا ممسكًا وسطه بيديه قائلاً :

- : يألمني شيء في بطني .. سوف أذهب إلي الحمام .

أسرع في خطواته ثم خرج من العنبر.

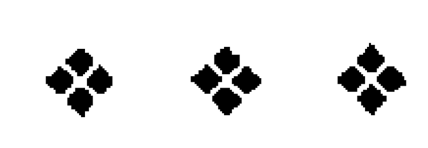
وأنا علي حالتي في وضع النوم علي السرير واضعًا ساقي اليمني فوق اليسري محاولاً الراحة ولو أنال منها القليل من قسطها تذكرت يوم ترقيتي إلي رتبة الرائد منذ أيام في الأول من سبتمبر بعد حصولي علي الليسانس لا أنسي هذا اليوم وفيه نقلت إلي قيادة الجيش الثالث الميداني وعدت مرة أخري إلي الجيوش الميدانية منذ عودتي من الأسر.

وهل هلال شهر رمضان المعظم وفي يوم ٥ أكتوبر وإذا برئيس عمليات

الجيش الثالث بعد أن تناولنا وجبة الإفطار عقب آذان المغرب بميس الضباط وقبل أن نؤدي الصلاة تحدث إلينا بصوت دافيء عميق واثق النبرات.. حروف كلماته تخرج مضيئة وهاجة .. سكنات صوته تعزف أعذب الألحان وأرق النغمات.. وقف شامخًا قائلاً :

- : لقد طالت الأيام السوداء وجاء اليوم المرتقب والمنتظر.. جاء يوم العطاء غداً بإذن الله سوف نعبرقناة السويس.

وإذا بالصمت الذي يسبق العاصفة يفرض وجوده علينا جميعا وبعد وجوم وترقب وقفنا جميعًا وأخذت الصيحات تتعالي هنا وهناك من جميع الأفواه، وأخذ كل منا يحتضن جليسه القريب وأخذ الدمع ينساب علي الخدود والوجوه.. لحظات لاتمر علي غالبية البشر مهما طال بهم العمر والزمان.. لحظات لاتمر علي البشر إلا للذين يستحقونها ونحن حقا جديرون بها.



تنفيذ

العملية (ق)

تنفيذ العملية (ق)

أحسست بسخونة الدماء تجري في عروقي ونبضات قلبي صار لها صوتا مسموعاً ثم تحسست سلاحي المستحدث بعد أن أعددته سلاحا فتاكا بعد أن وضعته في جيب سترتي الأيمن وأرتديت حذائي وإذا بساعة الحائط المعلقة فوق فتحة الباب تشير إلي الحادية عشرة. توكلت علي الله لبدء تنفيذ العملية (ق) بعد قراءة فاتحة الكتاب في سري خرجت من عنبر النوم بالدور الثالث متوجهاً إلي الدورالثاني حيث قيادة الحصن ومسرح الأحداث.

هبطت درج السلم ووقفت أمام باب حجرة الجاويش شاؤول طارقاً وأذن لي بالدخول ثم أتممت قفلي لباب الحجرة وقلت :

- : طاب مسائك ياشاؤول.
- : ومسائك ياسيادة الرائد.. ما أحضرك الآن ؟
- – أريد التخدث معك لأنك تعرف ماهي الحرب؟

نظر إليّ مستغرياً سائلاً:

- : ماذاتريد مني ؟
- : الإستسلام لافائدة في جدوي عدم التسليم للمصريين

ألتفت للجانب الآخر من الحجرة ورفع رأسه قليلا وقال بأكثرثقة من قبل :

- : المصريون لاخوف منهم إطلاقاً.. سوف يغلبون في نهاية الأمر مثل كل الجولات السابقة

- : أنا شاهدت عكس ماتقول وأنا مثلك اشتركت في الحرب السابقة.

نظر إليّ بشيء من الخبث فسأل:

- : لماذا تجزم بأنني حاربت من قبل ؟!

أجبته مسرعا ناطقا :

- : لأن رتبتك العسكرية تفيد بأقدميتك عن عمر الحرب السابقة

ثم توقفت عن الكلام قليلا فقال :

- : الحرب السابقة لم نحارب أحداً.. أما اليوم فنحن نحارب بشيء من القتال مع المصريين

نظرت إليه نظرات ثاقبة وارتفع صوتي عند نطقي بالكلمات

- : هل هذا غرور؟ أم ثقة بالنفس تفوق الواقع الأليم؟

- : ياسيادة الرائد نحن قوم لانهزم أبداً.

أزددت انفعالاً وغضبًا قائلاً:

- : أنت فاهم إنك الآن في معسكر تجميع الأسري غرب ممر متلا.

شب شاؤول واقفًا ناظراً نحوي متسائلاً:

- : من قال لك ذلك ؟

أخرجت سلاحي الخاص من سترتي وإذا بشاؤول يتجه نحوي فأستعملت السلاح فأرتد شاؤول قتيلاً

سقط فوق مكتبه، مددت يدي آخذا طبنجته من حاملها المعلق في حزام وسطه ثم أغلقت باب الحجرة من الداخل بالترباس انتظارا لحين ميعاد العملية (ق).

ميعادها لم يحن بعد.. باقٍ لهامن الزمن خمسة وثلاثون دقيقة لإشارة الساعة المعلقة والمثبتة أعلي باب الحجرة إلي الحادية عشرة وخمسة وعشرون دقيقة - توجد ساعة معلقة ومثبتة فوق كل باب من حجرات الحصن- وأثناء انتظاري المرتقب والذي تمر ثوانيه بسرعة السلحفاة ذات العمر المديد.

سمعت طرقًا علي باب الحجرة من الخارج علي ثلاث دفعات من الطرق متتالية وبعد دقيقتين من سماعي لآخر طرقة فتحت الباب ودلفت خارجه وأتممت قفله من الخارج بالمفتاح بعد أن أخفيت وواريت جثة القتيل أسفل مكتبه .

سرت في الردهة متوجها إلي حجرة القائد فطرقت الباب وإذا بالباب يفتح أتوماتيكيا وإذا بالقائد جالس خلف مكتبه ممسكا بمسدس مصوباً فوهته جهة الباب ثم أذن لي بالدخول عندما تأكد مني بأنني الشخص الطارق ووضع طبنجته في درج المكتب بعد أن جلست علي أحد الكرسيين أمام مكتبه وبصوت شديد النبرة قلت :

- : طاب مساؤك ياسيادة الملازم أول.

- : ومساؤك ياسيادة الرائد .. لون وجهك قد ازداد اصفرارًا مماقبل أتريد قسطاً آخرا من الراحة ؟

- : لقد انتباتني نوبة الريو اللعينة منذ قليل

قال مقاطعًا :

- : وكيف الحال الآن .. استعملت الدواء

وعندما ذكر الدواء تذكرت إن الدواء أصبح سلاحاً فهممت باستعماله ولكن وضعي كان بعيدا عن دايان فقلت :

- : نعم استعملته ولكن طبيب الحصن أفاد بأن الصيدلية لا يوجد بهامثيل له .

نظر اليّ بشيء من العطف وإن كان يريد إظهاره أكثر مما يشعره فقال:

- : أنا عارف ذلك وسوف أتخذ الإجراء المناسب .

فقلت له مقاطعا:

- : الإجراء المناسب هو التسليم للمصريين حتي لانكون جميعا أشلاء وحطاما مثل الحصن ٧٣

- : كيف تقول مثل هذا الكلام ياسيادة الرائد؟

أجبته بصوت يتعالي مع نطقي بالكلمات..

- : حفاظًا علي الأرواح الغالية وحقنا للدماء الذكية والتي سوف تهدر هباءً .. دون فائدة

هكذاوصفت أرواحهم ودمائهم بصفات لايستحقونها بل يستحقون كل الموت وكل السحل والتنكيل بشحمه ولحمه.

ثم نظر إليّ فقال :

- : أنت ..

وإذا برنين اللاسلكي الموجود أعلي دولاب قصير الإرتفاع يرتفع عن الأرض بحوالي متر ونصف المتر بالجانب الأيسر من الحجرة يدق، تقدم نحوه دايان مسرعاً ودار حوار بينه وبين قيادته لا أسمع منه إلا حديث طرف واحد قائلاً :

- : الحصن ١٠١ حول

- : لايوجد شيء غير طبيعي داخل الحصن - حول

- : الملازم أول دان نائم في عنبر النوم - حول

- : هنا معي في الحجرة - حول

- : سوف أعمل اللازم.

وعندما نطق بكلمات سوف أعمل اللازم تحول لون وجهه إلي الصفرة الباهتة ويديه أهتزت ارتعاشاً وبمجرد انتهاءه من الحوار وثب منقضا نحوالمكتب ثم جذب الدرج وهو مازال واقفا وأمسك المسدس في يده وبمجرد أن ارتفعت يده أعلي المكتب صوبت طلقة من مسدس شاؤول الذي أحمله استقرت بين عينيه أسفل جبهته فأرتد قتيلا ولم ينبث بأي حركة تذكر، سقط فوق مكتبه هو الآخر قمت من مقعدي ثم تقدمت نحوه وبمجرد تأكدي من موته أصبحت حجرة القيادة تحت السيطرة ، فتحت دائرة الإذاعة الداخلية للحصن - توجد سماعة داخل حائط كل غرفة من

غرف الحصن- وغالبا مايسمع عن طريقها الأغاني الخفيفة والموسيقى الكلاسيك.

فأذعت بالعبرية:

- : إلي جميع أفراد قوة الحصن عدم التعامل قتالياً مع قوة الإمداد والتعزيز المرسلة لنا من إحتياطي القيادة الجنوبية عند إقترابها من الممرات والأبواب.

ثم أغلقت الإرسال وعندئذ أكون قد نفذت وطبقت ماهوموضوع ومرسوم في الخطة (ق) ثم أخذت أبحث عن لوحة تشغيل الأبواب الخارجية للحصن.

وبعد البحث والتمحيص عثرت علي مفتاح درج المكتب الأسفل الأيسر في جيب سترة دايان وبعد فتحه ظهرت لوحة مفاتيح التشغيل وإذا بالزرين الحمراوين الخاصين للبابين ١، ٢ وهذا ماقاله الملازم أول مهندس المحلاوي وبمجرد رؤيتهما قمت بالضغط عليهما دون الإنتظار للميقات المعلوم وإذا بأصوات طلقات ودانات مدافعنا تزداد دوياً في عنان السماء ويزداد الدوي صخباً وجلبة داخل الحصن كلما انفتحت الأبواب اتساعاً وكلماسمعت الصخب والدوي يزداد وضوحاً أتساءل :

هل هذا حسب الخطة الموضوعة أم احتفالا بفتح أبواب الحصن ١٠١.

والبابان يفتحان بدخول دلفتين كل منهمايميناً ويساراً داخل جدارالحصن رويداً رويداً.

وبمجرد أن صارت الفتحة تسمح بدخول الأفراد تقدمت قوات الصاعقة المصرية لاقتحام الحصن بملابس إسرائيلية حفاظاً علي إزهاق

الأرواح ومنع إراقة الدماء.

رنّ رنين جرس اللاسلكي ، ترددت أول الأمر للرد ثم تقدمت ورفعت السماعة باليد اليمني وقلت بالعبرية :

- : الحصن ١٠١- حول

فجاءنى الرد باللغة العربية :

- : نحن قوات مصرية - حول

فقلت بالعبرية :

- : أنا الرائد إسحاق الياهو إسحاق - حول

فسمعت ايضا الرد باللغة العربية:

- : الرائد قدري محمود مبروك نجاح العملية نحن فوق اللنش قاهر في البحيرات المرة الكبري - حول

فتحدثت العربية لأول مرة داخل الحصن فقلت :

- : لقد اتصلت القيادة الإسرائيلية بقائد الحصن قبل قتله - حول

- : قمنا بعمل اللازم إلا أنه عندما تغيرت موجة وكود الشفرة أثناء الرسالة أفلتت منا ولم نسيطر عليها ومنها عرفنا أنك موجود بحجرة القيادة - حول

- : ربنا ستر.. إن الله معنا - حول

- : لاتترك غرفة القيادة

وتم الإستيلاء علي الحصن بضحايا ثلاث قتلي منهم القائد دايان ومساعد القائد شاؤول وجندي قتله غباءه لعدم فهمه كيف يستسلم لقوات ترتدي الزي الإسرائيلي ، كما قتل جندي مصري وهو الشهيد الوحيد لنا في تلك العملية .

في تمام الساعة الواحدة من صباح اليوم الجديد رنّ جرس اللاسلكي فقربت السماعة من فمي وقلت بالعبرية :

- : الحصن ١٠١ - حول

- : تحدث عن التغيرات التي قمت بها- حول

- : إسحاق إلياهو قتل الجاويش شاؤول وأنا شخصيا قتلت إسحاق داخل حجرتي- حول

- : أنت متأكد من قتلك لإسحاق إلياهو - حول

- : نعم متأكد من ذلك أنه أمامي قتيل منذ الإتصال السابق وتحفظت علي الملازم أول دان - حول

- : ما أصاب نبرات صوتك ؟ - حول

- : أشعر بشيء من الخوف .. أريد مدداً- حول

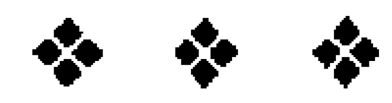
- : في الطريق إليك عدد ست دبابات وكذلك سيارتين مجنزرتين

وبناءا علي تلك المحادثة اللاسلكية وضعت قواتنا خارج الحصن خطة

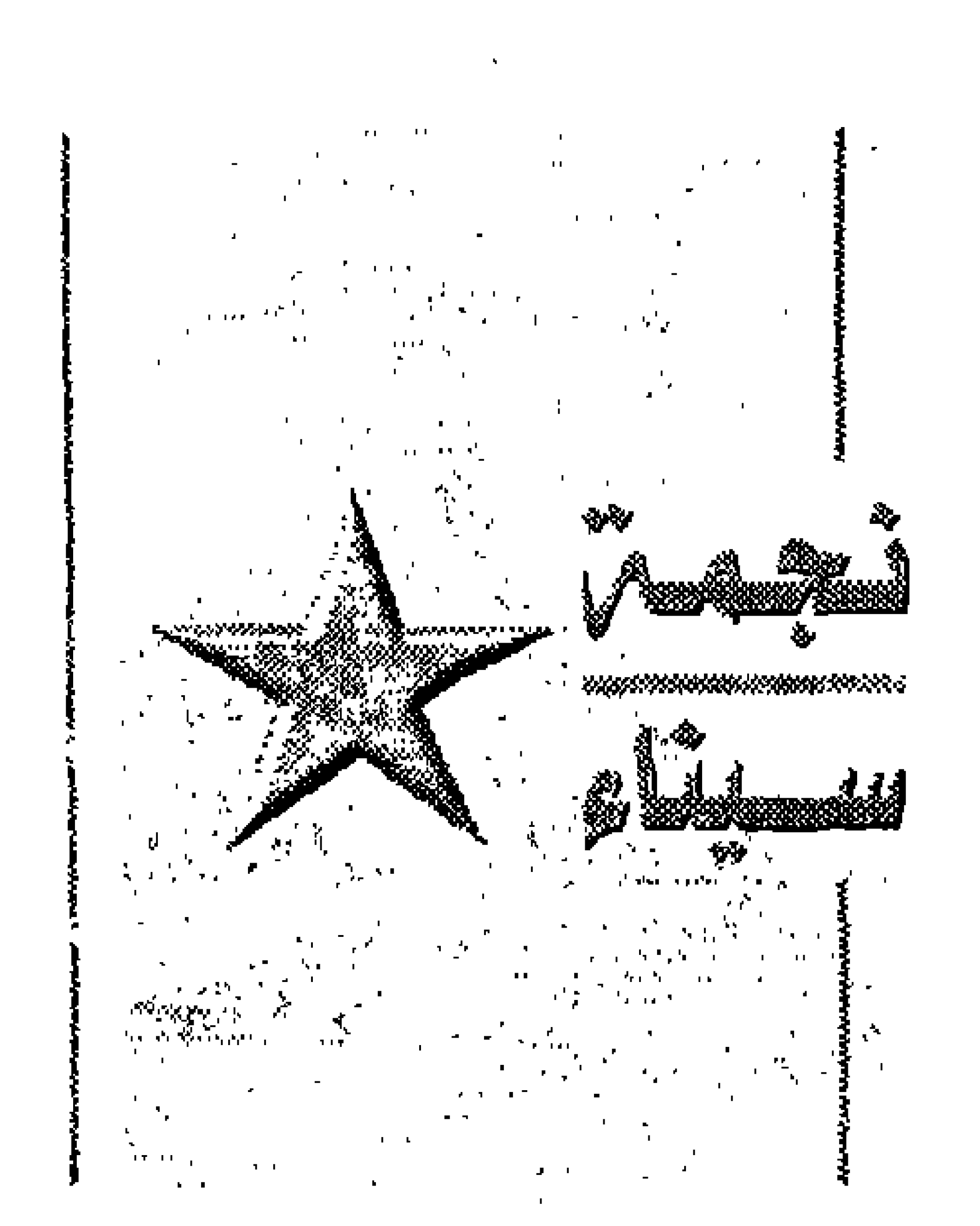
للقضاء علي هذا المدد والإمداد.

عُملت ثغرة مقصودة بين القوات المصرية المحاصرة للحصن حتي تتمكن قوات المدد الاسرائيلي من الوصول للحصن وعند تمام اختراق قوات المدد ودخولها بين فكي كماشة القوات المصرية أطبقت عليها وتم تدميرهم جميعا إلا دبابة واحدة فرّت هاربة بين قواتنا المحاصرة للحصن بسبب شدة الظلام وكثافة الغبار المنبعث من انفجارات المجنزرتين المحملتين بالقنابل والمتفجرات.

لقد سلكت الدبابة الهاربة من القتال طريقاً غير متوقعاً ليس بدافع المهارة وفن الحروب ولكن بدافع الخوف العظيم .




نجمة
سيناء



وتوالت مواكب الأفراح في الشوارع والطرقات.

ونصبت أقواس النصر وزينت أكاليل الإنتصار القرى والنجوع وعمت الفرحة الجميع وملأت قلوب المصريين أطفال وشيوخ وشباب ودوت أصوات الزغاريد أرجاء المحروسة .

وسمعت الأناشيد من أفواه النسوة والفتيات .

وأخذت كل فئة من فئات الشعب تعبر عن فرحتهاوابتهاجها ومدي سرورها، وجاء دور نواب الشعب أعضاء مجلسى الشعب والشورى وبمشاركة مع العاملين بوزارة الإعلام لإقامة حفل لتكريم رجال القوات المسلحة المصرية دعي في الحفل القائد الأعلي للقوات المسلحة السيد رئيس الجمهورية ودُعي فيه جميع قواد الجيش المصري المنتصر وأعلن عبر التلفاز والمذياع كما نشر في الصحف اليومية أن الحفل سوف يكرم فيه القائد الأعلي للقوات المسلحة رجال القوات المسلحة.

وذات صباح يوم عيد من أعيادنا الدينية من أيام أكتوبر ١٩٧٣ وبعد إمتثال القوات المتحارية علي جبهات القتال المختلفة لقرارمجلس الأمن الصادر بوقف إطلاق النار استدعيت لمقابلة قائد الجيش الثالث الميداني في عجرود.

طرقت باب حجرة سيادته طرقة واحدة ثم أخذت بيدي أكرة الباب

حتي فتح ثم تقدمت حتي وصلت أمام مكتبه.. أمام سيادته ووقفت انتباه ثم أديت التحية الواجبة وقلت :

- : رائد قدري محمود حسن المصري رئيس قسم الترجمة .

رفع رأسه لأعلي ثم حرك كرسيه للخلف ثم وقف وتقدم نحوي وصافحني بكلتا يديه ويدي اليمني بينهما وصاح قائلا :

- : لقد قمت بعمل عظيم أثناء سير العمليات العسكرية ياسيادة الرائد.. ولذلك أبلغك الآن بأنك مدعو لمقابلة القائد الأعلي للقوات المسلحة السيد رئيس الجمهورية يوم ١٩٧٣/١٠/٢٨ في حفل تكريم رجال القوات المسلحة الساعة ١٧٠٠ بقاعة الإحتفالات الكبري بجامعة القاهرة.

نظرت إليه ثم قلت :

- : متشكر جدا ياافندم

- : هذا واجبنا نحو أبنائنا المخلصين

بنفس النبرة وبنفس وقفتي.. قلت :

- : أرجو من الله أن أكون عند حسن ظنكم

قال بلهجة أكثر صرامة :

- : اللي انت عملته ليس ظن لقد عملت وفعلت اليقين ياسيادة الرائد

نطقت الكلام بسرعة فقلت:

- : أكرر شكرى وتحياتى

- : وأنت من اليوم في أجازة لكي تستعد للحفل وكل عام وأنت بخير.

أديت تحية الإنصراف الواجبة وانصرفت فرحاً مسروراً أستقليت سيارة جيب لكي توصلنى إلي بيتي بالقاهرة ولأول مرة أعود إليه بعد نشوب الحرب بالرغم أني قد اتصلت بزوجتي ووالدتي أكثر من مرة تليفونياً أثناء تلك الفترة المنصرمة كان أمامي يومان أثنان لحين حضوري الحفل وكان هذا الحديث صباح يوم الجمعة ١٩٧٣/١٠/٢٦ الموافق أول أيام عيد الفطر المبارك أعاده الله علينا جميعا أبناء مصر والأمة العربيةوالإسلامية باليمن والبركات.

شتان بين رجوعي اليوم من عجرود ورجوعي سنة ٦٧ من بورفؤاد، الرجوع واحد عقب حربين وشخص واحد هو أنا والعدو هو هو ولكن الفرق هو مابين الهزيمة والنصر أو بالأحري مابين القهر والانتصار.

فرق شاسع واسع اتساع السموات والأرض لايعلمه إلا من حياه وعايشه، لقد تجرعت من قبل الهزيمة بذلها وقسوتها وعلقمها المرير الدائم المستطير.

والآن أتذوق النصر بما فيه من حلاوة النشوة وطلاوة الضياء ونكهة المذاق المستطاب..

طرقت باب شقتي وإذا بزوجتي أمامى تأخذ رأسي بين راحتيها وتنهال عليها بالقبلات والبكاء وأتحسس وجهي المبتل بدموعي ودموعها المشتركة معا في الابتلال والبكاء والفرحة وأنا في حالتي هذه وصلت أمي

من الداخل وأخذت تحتضن وتتحضن بأي جزء تطوله من أجزاء جسمي وعلي قدر ماطالت وما وصلت إليه من قبلات بللته بقطرات من دموع عينيها الدافئة الحنونة .

ثم تبدلت المواقف وأخذت والدتي رأسي بين أحضانها واختلطت الدموع الثلاث علي جميع أجزاء جسمي لتكون باقة أنيقة من الفرح والحنان والاشتياق وأخذت زوجتي تحتضن بما تطول من جسدي وأنا في عناق حار متبادل معهما البكاء والإحساس والشعور .

هكذا استقبلت في منزلي وهكذا كانت أفراح بيتي إنها أفراح المنتصرين.

توافد علي منزلي الأهل والأصدقاء والجيران بمجرد معرفتهم بقدومي من ساحة الوغي يهنئون ويحيون ويقدرون .

قبلات وابتهالات وبكاء..

دعوات تطرب الآذان عالية مدوية..

همسات تطرب الآذان والأفئدة..

إنها أحاسيس ترج القلوب والعقول حبا وإخلاصا..

إنه شعور يفيض ولاء ونشوة..

وعند منتصف الليل تبقي شقيقي محمد وزوجته ليلي وأولاده أحمد وعمرو وتناولنا معا طعام العشاء، الطعام ذو مذاق يختلف عما كان قبل ٦ أكتوبر أي قبل أيام تقل عن الشهر الواحد.

تراقـصت علي ألسنتنا كلمـات جـديدة ، نطق حـروفـهـا تدل علي مـفردات ومـعـان وبيـان قد تناست وتلاشت من قواميس حياتنا وهاهي الآن تتـسـرب وتتـوغل وتعـود لنا مـرة أخـري.. تعـود لنا من تاني في أحـاديثنا وكلامنا.. تعود لنا علي الألسنة ومن الأفواه لكي تغزو أذاننا غزوا مبينا.

أشاهد فرحة أفراد الشعب علي وجوههم في الطرقات وفي أي وقت وعند كل مكان تطأ قـدمـاي إياه.. أشـاهد الفـرحـة كلمـا غـدوت أو عـدت لمنزلي، الكل يتسابق في التحية والدعاء.

أفراد لا أعرفهم يمدون أيديهم بالسلام ويميلون برءوسهم إحترامًا وإجلالاً.

لقد تغيرت نفسية الشعب وتبدلت من النقيض والحضيض إلي عكسه وعلاه .

وفي صباح يوم ١٩٧٣/١٠/٢٨ أخذت أتفقد البزة العسكرية وأعيد كيها بيدي وخاصة الجهة الأمامية منها ونهايات الكي والحوافي ثم جلوت الأزرار النحـاسيـة والنسـرين وهمـا رتبـة الرائد المعلقـة علي الكتـفين بمسحـوق البراسو - مركب كيميائى لتلميع المعادن- حتي صاروا كالذهب في البريق واللمعان.

ذهبت إلي الحلاق وهناك كانت القصص والحكايات بعد كثير السلامات والتحيات وقصصت شعر رأسي وحلقت شعر ذقني وفي تمام الساعة الرابعة من بعد الظهر كنت في هيئة مابعدها هيئة ولم أنس أن أضع كولونيا الليمون الذي أعشقه علي وجهي وفوق ملابسي ثم ركبت

سيارتي اللادا وتوجهت بهاإلي جامعة القاهرة بالجيزة.

دلفت إلي قاعة الاحتفالات الكبري لمقابلة القائد الأعلي للقوات المسلحة الرئيس أنور السادات .

أخذت موقعي في الحفل بعد المرور علي الكثير من منظمي الحفل كل شيء معد بدقة ونظام ، سلمت علي كل الزملاء والقادة المعروفين لي وحييت من لا أعرفه من الذين يجاورونى في مقعد الجلوس ، الكل في قمة الوجاهة والأبهة . الرتب والنياشين والأزرار تعكس الأضواء من شدة بريقها ولمعانها كأنها شموس ساطعة علي الأكتاف والصدور.

في الجانب الآخرمن القاعة يجلس أعضاء مجلسى الشعب والشورى في جلبة وضجيج أصوات عالية تنادي من هنا وهناك.. إنهم محترفون الحديث وفن الكلام ووصلوا إلي القمة في المخاطبة والخطابة.. وصعدوا الدرجات العلا من الحنكة والإقناع هكذا تكون السياسة دائما وأبدا.

في تمام الساعة الخامسة تماما سمعنا النشيد الوطني يعزف بخارج القاعة إيذانا بوصول القائد الأعلي ثم دخل شخص من الباب الأمامي للقاعة ونادي بأعلي صوته :

- : السيد رئيس جمهورية مصر العربية

وقف الجميع يترقبون دخول الزعيم ، وإذا بتصفيق حاد أمتد أكثر من خمس دقائق وأصوات تعلو من جانب أعضاء مجلسى الشعب والشورى والزعيم يرفع يديه إلي أعلي لرد التحية والترحاب لابساً البزة العسكرية

بالزي الجديد وهو الزي المستحدث للقادة الكبار فقط .

ثم هدأوا وسكت الحضور ويتقدم مذيع الحفل إلي مكبر الصوت قائلا :

- : خير الإستهلال آيات من الذكر الحكيم

وإذا بصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد يعم القاعة بتلاوة أيات من سورة الفتح :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢) وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣) هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤) ﴾ صدق الله العظيم

وتوالت أحداث الحفل حتي أن جاء دور الذين تم ترقيتهم إلي الرتب الأعلي والذين نالوا الأوسمة والنياشين .

استحدث وسام جديد نجمة سيناء بدرجاتها الثلاث كأعلي وسام عسكري.

وبديء النداء إبتداء من رتبة الفريق أول أركان حرب أحمد اسماعيل علي لقد رقي إلي رتبة المشير مع منحه وسام نجمة سيناء العسكرية من الدرجة الأولي، حتي أن وصل النداء إلي الرتب الأقل فالأقل وإذا بقائد

شئون الضباط ينادي :

- : الآتي أسماؤهم بعد من رتبة الرواد، صدق القائد الأعلي للقوات المسلحة علي ترقيتهم إلي رتبة المقدم :

١ - المقدم / قدري محمود حسن المصري كما صدق القائد الأعلي للقوات المسلحة علي منح المقدم قدري محمود حسن المصري نجمة سيناء العسكرية من الطبقة الثانية لما قام به وقدمه من خدمات جليلة للقوات المسلحة الباسلة وشعب مصر العريق .

خرجت من بين صفوف الجالسين وتقدمت إلي الأمام وصعدت سلم المنصة وإذا بالقائد الأعلي يسلّم عليّ باليد ويبتسم ويقول :

- : أهلاً بالرائد الميت إسحاق إلياهو ثم ضحك والجميع يضحكون ويبتسمون.

غالبية الحضور ولا أقول كلهم لايعرفون الرائد الميت إسحاق إلياهو

فك اسبلايت رتبة الرائد من علي كتفي ثم رصّع كتفى برتبة المقدم ثم علق علي صدري وحول عنقي وسام نجمة سيناء .

صافحني مودعاً قائلا:

- : ياقدري العملية (ق) التي قمت بها أمرت المشير اسماعيل تدوينهافي كتيب وتوزع علي جنودوضباط القوات المسلحة كمثل عظيم يحتذي به.

أحـمـدك يارب.. أحـمـدك وأشكرك يارب علي هذه الحـيـاة التي منحتها إياي والتي أحياها الآن .. لحظات عشتها فوق السحاب في أفاق السمـاء لقـد عـاهدتك بالأمس علي النصـر أو الشهـادة فصدقت معك يا إلهي كماصدقت مع شعبي ونفسي فساعدتني وأعنتني وأحسنت ماصنعت حتي بلغت منتهاه.

واليوم أعـاهدك يارب المحـافظة علي النصـر الذي منحتـه لي وأرجو وآمل منك يارب إعانتي وتوفيقي علي الدوام مابقيت حيًا.

بانتهاء منح الأوسمة والنياشين والرتب الأعلي تقدم مذيع الحفل إلي مكبر الصوت قائلا :

- : والآن جاء كلمة المكرمين المقدم قدري محمود حسن المصري فليتقدم.

أخذت أنفاسي تضطرب وصارت لهاصوتا مسموعا وخرجت من بين الصفوف وتقدمت وصعدت إلي مكان الخطابة ، وإذ أقول مرتجلاً عبر مكبر الصوت خطابا حصلت عليه مكتوب صباح اليوم التالي في الصحف اليومية.

السيد القائد الأعلي للقوات المسلحة ورئيس الجمهورية

السادة نواب الشعب

بأسمي وباسم زملائي المكرمين ونيابة عن جميع أفراد القوات المسلحة المصرية نشكركم.

نشكر رمز الدولة ونواب الشعب

وأقول أن مافعله الشعب المصري في ست سنوات متمثلاً في قيادته وقواته المسلحة وجميع قوي فئاته العاملة يعتبر بكل المقاييس معجزة من معجزات الإنسان المصري عبر تاريخ البشر والأزمان .

إن مصر في دمي وروحي وخاطري والآن جاء وقت الكلام لكي أبين وأوضح ماهي مصر؟

جاء وقت الحديث عنها وعن صناع أمجادها بعد أن كنت أحد صناع مجدها العسكري الحديث.. مصر الأصالة والعروبة .. مصر المسيحية والإسلام .. مصر الحرب والسلام.. مصر الثبات والقدم .. مصر العراقة في شخصها وفي أبنائها.. مصرأقدم شعوب العالم لم تغير لغتها عبر آلاف السنين إلامرتين.

ولم تغير دينها منذ أخناتون إلا مرتين

ولم يتغير جنسها البشري إلا تغيرا طفيفا لايذكر ولم يتبدل ويصبح جنسا آخر بالرغم من إحتلال أراضيها علي يد المعتدين الغاصبين آلاف السنين منذ انتهاء العصر الفرعوني وحتي قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ وحينئذ حكمت مصرمرة أخري بأبنائها الكرام.

هذا التاريخ يجعل شعبها شعب الأصالة والعراقة والقيم :

منذ معركة قادش رمسيس العظيم مرورا بحطين صلاح الدين وفتوحات إبراهيم باشا وأبيه لم يتذوق الجيش المصري ولا شعب مصر

الذي أنجبه وأعده ، طعم النصر والانتصار.

منذ السادس من شهرنا الحالي ونحن نحيا حياة الأحرار.. نعم تذوقنا النصر بجيش مصر وبقيادة عسكرية مصرية وتحت زعامة مصرية خالصة سوف يضن علينا الزمان بمثيله الزعيم محمد أنور السادات صاحب قرار العبور العظيم .

وإذا بالقاعة تدوي تصفيقاً وتهليلاً وبعد أكثر من خمس دقائق استرسلت مرة أخري في الحديث والخطابة - نعم نتذوق ونتشمم الآن طعم ورائحة نصر أكتوبر.. نعم الآن نتعبر ونتعبق بعبير وعبق النصر المبين.

نحن شعب مصر ومعنا الشعوب العربية ومعنا أيضا الشعوب المحبة للحق والعدل والسلام نرفع هامتنا عالية فوق أقواس النصر في عنان السماء وأبراج الخلود.

من منا لايعرف ماهو السلام ؟!

إن أسمي غايات الأمم والشعوب وخاصة الشعوب العريقة ذات التاريخ والأمجاد.

ونحن أولي من أي شعب آخرللحصول علي السلام وأن نحيا في جنباته وشرفاته ونعيش علي ضفافه وبين سهوله الفيحاء.

السلام كلمة تعبر عن الكثير وخير وصف له أن الله عز وجل اتخذه اسما من اسمائه الحسني

﴿ هو الله الذي لا اله إلا هو الملك القدوس السلام﴾

وعبر التاريخ وإلي يوم الدين عندما يعم السلام تنعم الشعوب

بالرفاهية والرخاء وتشييد الحضارات وتبني المدنيات في جميع أرجاء المعمورة.

بالسلام يسمو الإنسان ببشريته الدنيوية الدنيئة إلي روحانياته المقدسة.. إلي أمجاد العلا والخلود.

نعاهدكم أمام الله بأن نكون دائما في خدمة مصر كما كنا في أكتوبر ٧٣ .. أكتوبر٧٣ وفيه بذل العطاء الذي ليس بعده عطاء يعطي من بشر لأوطانهم.. أكتوبر ٧٣ وفيه أزهقت الأرواح الطاهرة فلا نبالي بما أزهق من أرواحنا .

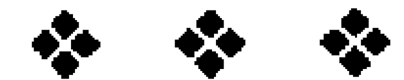
أكتوبر ٧٣ وفيه أريقت الدماء الذكية الطاهرة فأشعلت فينا الجسارة والاقدام والشجاعة .

من أجلك يامصر صنعنا النصر

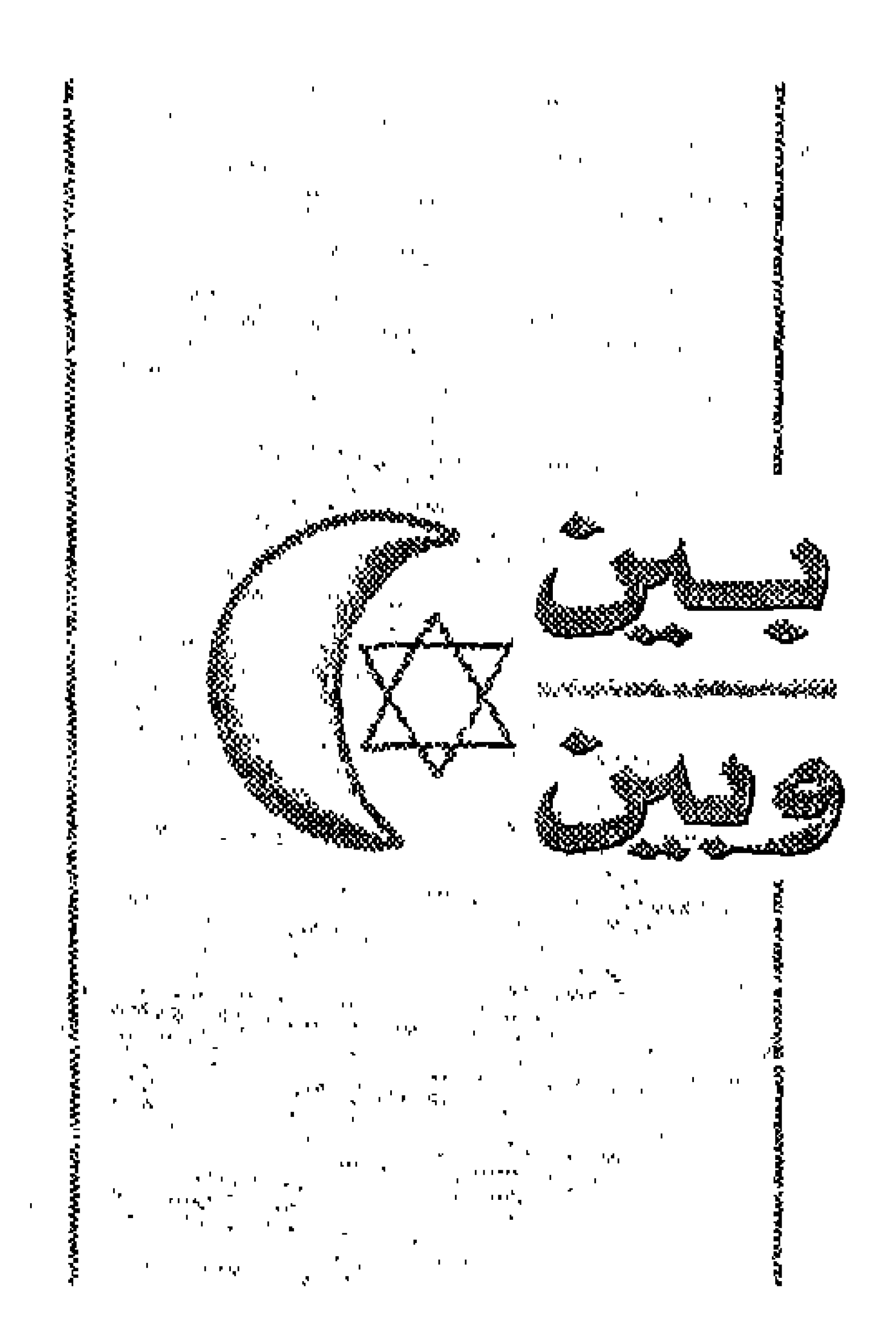
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبمجرد الإنتهاء من خطابي وأثناء تصفيق الحضور تقدمت لمصافحة القائد الأعلي وقواد القوات المسلحة المتواجدين علي منصة الإحتفال .

ثم تقدم مذيع الحفل ليعلن انتهاء منح وتوزيع الأوسمة والنياشين والإستعداد لتقديم الفقرة التالية بعد استراحة قصيرة .




بين
وبين



أعد المسرح لاستقبال المشاهد التمثيلية بعنوان « بين وبين» وهو الجزء الخاص للعاملين بوزارة الإعلام في مشاركة الإحتفال بالنصر لا أعرف فى أي قسم تقع تلك المشاهد التمثيلية من أقسام الفن .. أهي أوبريت كلامي وليس غنائي .. أم هي مسرحية تمثيلية يقوم بالتمثيل فنان واحد أو فنانة واحدة في حالة منفردة علي المسرح كما لو كان منولوجوست.

عموما سوف أصف ما كان بقدر الإمكان حتي تنتقل الصورة والمشاهد التمثيلية إليكم ، حتي ولو كان تصورها ووصفي لها هامشيا لقد لعبت الموثرات الصوتية بدرجاتها المتباينة مع الألوان المتعددة المنفردة منها والمتداخلة حينا آخر لعب الضوء مع الصوت بنغاماته المؤثرة ومنها الأصوات المجسمة وبدرجات قوة متدرجة وأخري لاصوت له ومع الإظلام التام يعطي الصمت الرهيب .

الكل يعزف معا .. الجميع في سيمفونية منسجمة النغمات الموسيقار مع الممثل والممثلة يشتركون معا في عزف الألحان الكل يعزف معا ألحان وإيماءات تمثيلية تخدم العمل الدرامي المؤدى من خيرة أهل التمثيل والفن .

وبعد حوالي نصف ساعة راحة تم النداء كما في المرة الأولي بدخول الزعيم فيقول المنادي : السيد رئيس جمهورية مصر العربية .

يقف الحضور وتنهال الصيحات دويا ويرج التصفيق القاعة رجاً وتفتح الستار ثم تطفئ الأنوار ويسود الصمت .

صوت : الإله واحد .. قبل الزمان .. قبل الكون والبشر بعد الزمان .. بعد يوم الدين والخلود .. هو الله الواحد الأحد .. هو الأول والآخر .

الأنوار تضيئ والموسيقي تعزف وتدخل ممثلة علي المسرح وتقول وهي ترتدي لباس الأولين.

ممثلة ١ : موسي بن عمران رسول الله عليه أفضل السلام وأتم التسليم .. كليم الله .

ثم يدخل ممثل علي المسرح يرتدي قفطان مزركش الألوان كما لو كان يعيش في زمن منذ آلاف السنين فيقول :

ممثل ١: محمد بن عبد الله صلي الله عليه وسلم رسول الله وخاتم الأنبياء والرسل عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات .. حبيب الله .

ممثلة ١: أنزل الله الألواح النورانية علي نبيه ورسوله موسي الكليم .. أنزل الوصايا العشر من التوارة في طور سيناء

قال الله تعالي لموسي الكليم موصياً عشراً .

صوت : بسم الله الرحمن الرحيم « هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار لعبده ورسوله موسي بن عمران أن سبحني

وقدسني لا إله إلا أنا فأعبدني ولا تشرك بي شيئا وأشكر لي ولوالديك ولا تقتل النفس التي حرم الله عليك ولا تحلف بأسمي كاذباً ولا تشهد زوراً أو بهتاناً ولا تحسد الناس ولا تزن ولا تسرق ولا تذبح لغيري ولا تفجرن بحليلة جارك وأحب للناس ماتحب لنفسك.

ممثل ١ : وكذلك في القرآن الكريم ثلاث آيات في سورة الأنعام تعرف بالوصايا العشر القرآنية .

صوت : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾

ممثلة ١ : طلب موسى عليه السلام رؤية الذات الألهية عند ميقات ربه.

صوت : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾

ممثل ١ : قال الله في قرآنه المجيد .

صــوت : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾ .

ممثلة ١: قوم موسي عليه السلام بني إسرائيل المسمون باليهود.

ممثل ١: قوم محمد ﷺ .. المسلمون .. إن إبراهيم الخليل أول من سماهم بالمسلمين.

ثم أظلمت أنوار المسرح وساد السكون التام.

صــوت : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥)﴾.

ثم أخذت الأضواء بألوانها المتداخلة ودرجاتها المتباينة مع الموسيقي التصويرية الإيقاعية تعبر معًا مع ما يقال ويلقي علي المسرح .

وتدخل ممثلة أخري تلبس ملابس تختلف عن ملابس الأولي وإن كان زي الثانية يدل علي تقدم ورقي قد حصل ونالت البشرية منه قسطا ربما يكون بسيطا ولكنه قد أتي .

ممثلة ٢ : أمر الرب موسي الكليم وأخيه هارون وهما بأرض مدين الذهاب إي فرعون لأنه طغي وتكبر وقال أنا ربكم الأعلي وليأخذوا بني إسرائيل من أرض مصر ويذهبا بهم إلي الأرض المقدسة بيت المقدس أورشاليم .

صـوت : ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ .

ممثلة ٢ : تكبر فرعون وشجعه هامان وملائه ورفض فرعون ما قالا له ولم يؤمن بربهما الواحد القهار .

صـوت : ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾﴾

ممثلة ٢: واشتد غضب فرعون لبني إسرائيل ولما أزداد غضبه عتوا واستكبارا قالت اليهود .

أصوات : يا موسي إذا استعملونا من قبل أن تأتينا فلما جئتنا استعملونا ولم يطعمونا .

صـوت : ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾

ممثلة ٢: أخذ الكليم يثبت ويقوي إيمان بني إسرائيل .

صوت : ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ .

ويدخل ممثل يرتدي زي الأقدمين ، زي عصر الممثلة ٢

ممثل ٢: وذات ليلة ليلاء . خرج موسي عليه السلام ومعه بني إسرائيل من مصر هروباً وفراراً من فرعون وجنوده للذهاب إلي الأرض المقدسة .

وتسمع أصوات غوغاء وهمس منها يا موسي .. يا هارون وهي أصوات جماعات اليهود خلال ظلام الليل الدامس وعند ذلك أظلم المسرح تماما .

صـــوت : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

تسمع أصوات متصاعدة ويطل ضوء الفجر شروقا ويعم المكان ضوءا وضياءًا مع زيادة في الصياح ارتفاعا وجلبه

صـــوت : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

ممثلة ٢ : ورأي بنو إسرائيل غبار عسكر فرعون فقالوا :

أصوات : يا موسي أين ما وعدتنا من النصر والظفر؟ هذا البحر أمامنا إن دخلنا غرقنا وفرعون وجنوده خلفنا إن أركنا قتلنا ولقد أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا .

صـــوت : ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ .

ممثلة ٢ : ويقترب فرعون وجنوده من بني إسرائيل عدوًا وغيظًا .. وتتعالي أصوات بني إسرائيل .

أصوات : إنا مدركون .. إنا مدركون .. إنا مدركون .

ويزداد المسرح ضجيجا .. وتسمع أصوات أمواج البحر تختلط مع قعقة السلاح وصهيل الجياد .

ممثلة ٢ : ينظر الكليم إلي قومه وينادي فيهم .

صـــوت : ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾

صدي الصوت : إن معي ربي .. معي ربي .. ربى

ممثلة ٢ : وعبر بنو إسرائيل البحر ودعا موسي عليه السلام ربه وهو في وسط البحر والماء كالطودين علي يمينه ويساره قائلاً.

ممثل ٢ : اللهم لك الحمد وإليك المشتكي وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

صوت :﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

ممثلة ٢ : فلما سمع بنو إسرائيل صوت التطام البحر.

وإذا بصوت البحر يعم المسرح مع أصوات أمواج البحر تسمع من قبله وبعده

أصوات : ما هذه الضوضاء والجلبة يا موسي ؟

ممثل ٢ : فقال لهم الكليم:

إن الله قد أهلك فرعون وكل من كان معه غرقا .

صوت : ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

ممثلة ٢ : لم يرتض قوم موسي بما قال موسي فقالوا :

أصوات : يا موسي إن فرعون لا يموت إنه خالد خلود الزمن والشمس والقمر .

صوت : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

ممثلة ٢ : وخرج لهم فرعــون غـريقًا .. خرجت جثته علي شاطئهم .. ليروه بأعينهم التي لا تؤمن إلا بالماديات .

ممثلة ٢: فلما جاوز موسي ببني إسرائيل البحر أتوا علي قوم يعكفون علي أصنام لهم عابدون .

صــوت : **﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾**

ممثلة ٢ : قال موسي لقومــه إني ذاهب إلي الجبل لميقات ربي وآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون وواعدهم أربعين ليلة .

صـوت : **﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾**

ممثلة ٢ : صام مـوسـي أربعين يوما متطهراً بدنا وثيـاباً وروحاً وأتي طور سيناء لميقات ربه .

صـوت : **﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾.**

ممثلة ٢: وأخـذ مـوسي من ربـه كلمـات مـن التـوراة كـتـبت فـي الألواح وأخبـره ربه عند مـيقـاته بطور سـيناء أن قـومـه قـد أضلهم السـامري .

صـوت : **﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) ﴾** .

ممثلة ٢: استعار بنوا إسرائيل حُليًا كثيرا من قوم فرعون حين أرادوا الخروج والرحيل ليلا بعلة عيدهم والتزين البهيج للنسوة اليهوديات .

ممثل ٢ : وعندما كان موسي في ميقات ربه قال السامري لقومه بعد أن نادي فيهم جميعاً يا قوم إن حلي القبط غنيمة ولا يحل لكم أخذها وأمركم بجمع الحلي كله حتي يرجع موسي فيري فيه رأيا .

ممثلة ٢ : فجمع بنوا إسرائيل الحلي عند السامري فأخذه وصاغه علي هيئة عجل وقذف فيه بالقبضة من أثر الرسول جبريل وقال كن عجلاً جسداً له خوار فصار كما أراد وأسماه يهموت .

صوت : ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾

ممثلة ٢ : فقال لهم موسي يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلي الله.

صوت : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾.

ممثل ٢ : وتوبة اليهود عبدة العجل القتل لأنهم إرتدوا ومن إرتد فقد كفر ومن كفر يبح دمه ودعا موسي ربه .

صوت : ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١)﴾ .

ممثلة ٢ : إن الله تواب رحيم بعباده وخلقه ومنهم بني إسرائيل عبدة العجل.

صوت : ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

ممثلة ٢: الله تعالي أمر رسوله وكليمه موسي أن يأتيه في ناس من أخيار بني إسرائيل ليعتذروا للذات الإلهية عن عبادة قومهم للعجل.

صوت : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا ﴾.

ممثلة ٢: وأمرهم موسي أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم إلي طور سيناء لميقات ربه وأسمعهم الله تعالي وهو يكلم كليمه موسي .

ممثل ٢: قال الله لموسي أنني أنا لا إلــه إلا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر فأعبدوني ولا تعبدوا غيري .

ممثلة ٢: فلما فرغ موسي من الكلام وأنكشف الغمام أقبل إليهم فقالوا لن نؤمن لك حتي نري الله جهرة .

صوت : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥) ﴾ .

ممثلة ٢: مات السبعون الأخيار من بني إسرائيل لما أخذتهم الصاعقة من ربهم فقال موسي لربه .

ممثل ٢ : لو شئت يا ربي لأهلكتم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا .. يارب كيف أرجع إلي بني إسرائيل وقد هلكت خيارهم .

ممثلة ٢: ولم يزل موسى يناشد ربه حتي أحياهم جميعا .

صوت : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ .

ممثلة ٢ : فما رجع موسي إلي قومه وقد أتاهم بالتوراة والألواح أبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها .

صـوت : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧١) ﴾

ممثل ٢ : فلما رأوا أن لا مهرب ولا مفر لهم من تقبلها سجدوا علي شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجود .

ممثلة ٢ : فصارت سنة لهم لا يسجدون إلا علي أنصاف وجوهم فقالوا :

أصوات : سمعنا وأطعنا .

ممثل ٢ : فلما زال الجبل عنهم قالوا .

أصوات : يا موسي لولا الجبل ما سمعناك وما أطعناك .

ممثلة ٢ : وصل موسي وقومه علي مشارف الأرض المقدسة وأمر موسي قومه أن يدخلوها كما وعدهم أبوهم إسرائيل أن يدخلوا أورشليم .

صـوت : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) ﴾ .

ممثل ٢ : أبي قوم موسي الدخول خوفا وجبنا من أهل بيت المقدس لكونهم عمالقة .. عمالقة في أجسامهم وأشكالهم فقالت اليهود .

أصوات : لن نقاتل .. لن نقاتل .. لم ولن نقاتل .

صـوت : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) ﴾ .

ممثلة ٢ : قال رجلان من أخيارهم .. من النقباء لقومهم .

صوتان : يا قوم إن أهل الأرض المقدسة عمالقة في أجسامهم ولكن قلوبهم ضعيفة فأفتحوا باب بيت المقدس وإدخلوه .

صـوت : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

ممثل ٢ : فثار اليهود في غضب وعصيان تام من أمرهم بالقتال .

أصوات : لن نقاتل .. لن نقاتل.. لن نقاتل .

صـوت : ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) ﴾ .

ممثلة ٢ : تيَّاس موسي من قومـــه وأشتد يأسه منهم وفـاض الكيل .. كلمـا أتي لهم بآية من ربه يزدادوا ضـلالاً وجـحـودا وفسـقـا وفجورا فدعي ربه .

صـوت : ﴿قَـالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْـسِي وَأَخِي فَـافْـرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَـوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) ﴾ .

صدي صوت : وبين القوم الفاسقين .. القوم الفاسقين .. الفاسقين.

ممثلة ٢ : مـا قاله لـه بنوا إسـرائيل ما هـــو إلا استهانة بالله العلي العظيم وبرسوله الكليم وبالتوراه النورانية .. إنه سوء أدب .. قلة إيمان .. بل عدم إيمان.

ممثلة ٢: فكان عقــاب الله سبحانه وتعالي لبني إسرائيل .. وحــق العقاب عليهم .

صــوت : ﴿ **قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦)** ﴾ .

ممثلة ٢: لقد أعطي الله سبحانـه وتعالي لقوم موسي معجزات شتي فكان إيمانهم أقل .. بل أقل من القليل .

صــوت : ﴿ **سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢١١)** ﴾.

ممثل ٢: وصف الله تعـالي بني إسرائيل بأنهم قوم فاسقون ووصف نبيه ورسوله موسي الكليم قومه .. بني إسرائيل بأنهم قوم فاسقون.

ممثلة ٢: إنهم قـوم فـاسـقـون حـقـا وصـدقـاً .صـدق الله العظيم وصدق نبيه ورسوله موسي الكليم .

ثم أنخفضت أصوات الموسيقي التأثيرية رويداً رويداً حتي ساد الصمت التام وأخفضت أنوار المسرح حتي الأطفاء وعم الظلام المكان وإذا بصوت رخيم يقطع السكون مع ضيـاء المسرح نوراً خافتاً .

صــوت : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)** ﴾.

وإذا بفنان يلبس الزي العربي الجميل ذو العقال الحرير الأسود وأسفله منديل ناصع البياض يتوجان رأسه فأضفى عليه هيبة ومهابة .

ممثل ٣ : وهاجر الرسول محمد عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم ومعه الصديق أبو بكر ليلاً هروبا وفراراً من صناديد قريش وكفارهم .. أهل مكة الجفاة الأجلاف .

وأشرقت أنوار المسرح وأخذت تزداد سطوعًا وضياءً حتي شملت المكان وتصاعدت نغمات الموسيقي تأثيرًا وعمقًا .

أصوات : إن محمدًا قد هرب وفر فرارا ومعه ابن أبي قحافة هلموا يا معشر قريش .. هلموا يا قوم اتبعوه لابد من اللحاق به .. لابد من قتله .. له الموت كل الموت .

وتدخل فنانة المسرح وعليها لباس أبيض كله حشمة ووقار وعلي رأسها حجاب يغطي شعر رأسها لونه أبيض له بريق ولمعان .

ممثلة ٣: شاع في أرجاء مكة خبر هروب محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم وفراره مصاحبا صديقه أبو بكر الصديق .. لقد هاجر إلي يثرب.

ممثل ٣ : تسابق شجعان وفرسان قريش لمطاردتهما واللحاق بهما. والوصول إليهما عبر الوديان وأعالي الجبال .. شرقاً وغرباً، جنوبًا وشمالاً .

ممثلة ٣: وفي الإتجاه الجنوبي من مكة وصل فرسان المطاردة .

ممثل ٣: واعتلوا الجبل حتي إن أتوا غار ثور وعنده اختفت آثار أقدام البشر المتبعين .

ممثلة ٣: إن مدخل الغار مغلق .. مغلق ببيوت العنكبوت الواهية وفى منتصف المدخل ترقد حمامة بيضاء علي بيضها في أيكها في أمن وأمان وسلام.

ممثل ٣: إنهما دليلان أكيدان لعدم اقتحام بني البشر مدخل الغار .

ممثلة ٣: في داخل الغار يتواجد الصاحبان وإذا بأبى بكر يقول لصاحبه:

ممثل ٣: يا رسول الله: لو أنهم نظروا أسفل أقدامهم لشاهدونا .

ممثلة ٣: فيرد محمد عليه الصلاة والسلام .

ممثل٣: فيقول: لا تحزن يا أبا بكر إن الله معنا.

ممثلة ٣: قال الرسول الكريم إن الله معنا . ...

صدي الصوت : إن الله معنا .. الله معنا .. معنا .

صوت : ﴿ **إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾.

ممثلة ٣: وتوالت الأحداث والأيام .

ممثل ٣: وفي المدينة المنورة وصلت أنباء إلي الرسول الكريم محمدﷺ تفيد بأن أبا سفيان بن حرب علي قافلة من

قوافل قريش العملاقة وهو في طريقه إلي مكة قادما من الشام .

ممثلة ٣: لقد نهبت واستولت قريش علي أموال وممتلكات المسلمين بشتي الطرق والوسائل قبل الهجرة وبعدها .. ومازالت تستولي علي أموال وأعراض المسلمين .

ممثل ٣: خرج محمد ﷺ ومعه بعض الصحابة من عنصري الأمة المهاجرين والأنصار للإستيلاء ومصادرة قافلة قريش وأفلت أبو سفيان .

ممثلة ٣: نجا أبو سفيان والعير بفضل دهائه وخبرته الطويلة وحنكته التجارية الفائقة .

صدي صوت : وصل النبأ إلي قريش ونادت قريش في البادية تستجلب الحلفاء لمحاربة محمد وأصحابه عند يثرب .

ممثل ٣: حياة قريش هي التجارة ولا حياة لها بدون تجارة ونصف هذه التجارة مع الشام وللوصول إليها لابد من المرور بجوار محمد وأصحابه مهما تعددت طرق الوصول أو الرجوع .

ممثلة ٣: فلابد من تأمين تجارتهم مع الشام ولابد من تأمين طرق الوصول إلي الشام مهما تكلف من قتال ومال ومهما تكلف من أرواح ودماء وبأسرع ما تكون السرعة ليحافظوا علي تجارتهم ومهابتهم بين قبائل العرب.

صوت : ﴿**لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف**﴾

ممثل ٣: وأتي جمع الكفار من كل مكان لمحاربة الرسول الكريمﷺ

لقد حشروا وحشدوا ما يملكون من مال وأنعام واستعدوا كل الاستعداد للقتال عدداً وعدة .

ممثلة ٣: أستطلع الرسول المصطفي رأي ومشورة الصحابة .

ممثل ٣: فقال الرســـول ماذا تقول يا مقداد بن عمرو ؟

ودخل المسرح رجل عربي في لباس الحرب قائلا :

ممثل ٤: يا رسول الله ، أمضى لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسي : « أذهب أنت وربك فقاتلا إن هاهنا قاعدون» ولكن أذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .

صدي الصوت : إنا معكما مقاتلون .. معكما مقاتلون .. مقاتلون .

ممثلة ٣: هكذا كان رد المهاجرين فأخذ يتلفت الرسول الكريم .. النبي المختار .. لسماع صوت الأنصار . فنظر إلي سعد بن معاذ. وساد المسرح سكون تام وتلاعبت الأضواء بالموقف .

ممثل ٣: تقدم سعد بن معاذ حتي إن وصل بجانب الرسول ﷺ فقال :

وإذا بممثل يدخل المسرح ويلبس لباسًا القتال بالزي العربي القديم.

ممثل ٥: يا رسول الله لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق .. وأعطيناك علي ذلك عهودنا ومواثيقنا علي السمع والطاعة .. فأمض لما أردت فنحن معك فو الذي بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك

وما تخلف منا رجل واحد .. وما نكره أن تلقي بنا عدونا غدا إنا لنصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا علي بركة الله.

صدي صوت : ما تخلف منا رجل واحد .. علي بركة الله .. رجل واحد .. علي بركة الله.

ممثلة ٢: انشرح صدر الرسول ﷺ بما سمع وإطمأن وفرح بعنصري أمته فقال لهم .

ممثل٣: قال الرسول الكريم سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدي الطائفتين .

صوت : **﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) ﴾**

صدي ا لصوت : إحدي الطائفتين .. العير أو النصر .. (النصر .. الشهادة) .. النصر والعير.

ممثل ٣: ونزل الرسول الكريم بمكان ببدر فقال الحباب بن المنذر.

وهنا ظهر ممثل آخر بنفس اللباس والزي الحربي .

ممثل ٦: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتي تأتى أدنى ماء من القوم فتنزل ثم نغوّر ما وراءه من القُلُب ثم نبني عليه حوضا فنملأه ماء ثم نقاتل الكفار فنشرب ولا يشربون.

ممثلة ٣: لقد أصاب الحباب بن المنذر فنفذ له الرسول الكريم ما قال والمسلمون يبنون قال سعد بن معاذ .

ممثل ٥ : نبي الله .. نبني لك عريشًا تكون فيه وتعد عندك ركائبك ثم نلقي عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا علي عدونا كان ذلك ما أحببنا وإن كانت الأخري جلست علي ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلَّف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبًا منهم ولو ظنوا أنك تلقي حربًا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك .

صدي صوت : أي موقف هذا ؟ .. أي إيمان يكون ؟. إنه الإيمان كله ما ترك شيئًا.

صوت : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦) ﴾.

ممثلة ٣: ويلتقي الجمعان ويشتد وطيس المعركة ويقف الرسول محمد ﷺ يحرض المؤمنين علي القتال ويتوجه إلي الله داعيًا :

ممثل ٣: يرفع الرسول ﷺ يديه متضرعاً إلي الله .. اللهم هذه قريش

قد أتت بخيلها وخُيلائها تحاول أن تكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد.

ممثلة ٣: تتسابق سيوف ورماح المسلمين للفوز بقتل المشركين وتتعالي صيحاتهم في آفاق السماء مرددين .

أصوات : أحد .. أحد .. أحد .

ممثل ٢: يقاتل المسلمون الكفار بكل همة وعزيمة وإيمان وتثبت الملائكة أقدامهم وقلوبهم وينتاب الرعب قلوب الكفار وتلهب أرجلهم الفرار.

صوت : **﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ﴾** .

ممثلة ٣: بلال بن رباح يقتل ....أميه بن خلف صنديد قريش الأثيم ويعتلي صدره بالنعل والقدم .

ممثل ٢: معاذ بن عمرو بن الجموح يقتل الكفر المجسد في شخص إنسان .. يقتل الشقي أبا جهل عمرو بن هشام رأس أفاعي قريش الكافرة .

صوت : **﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾**.

ممثلة ٣: لقد أعطي الله سبحانه وتعالي لقوم محمد المسلمين إيماناً عظيمًا مع معجزات أقل .

وأخذت الموسيقي التأثيرية تنخفض أصواتها رويداً رويدا حتي عم السكون مصاحبا للأنوار الخافتة حتي أظلم المسرح تماما وساد الصمت برهة ثم يسمع أزيز طائرات آخذا في الإرتفاع والعلو حتي يعم القاعة ثم يقل الصوت سماعا حتي يتلاشي يعقب ذلك سكون تام وتزداد الأنوار إضاءة وفجأة يعلو صياح .

أصوات: الله أكبر .. الله أكبر ..الله أكبر .

يظهر علي المسرح ممثل يرتدي الزي الأفرنجي .. بدلة بيضاء اللون تحتها قميص أبيض تتدلي من عنقه كرافتة حمراء.

ممثل ٦: نسور سماء مصر الآن يعبرون قناة السويس إنهم المفتاح الذي يفتح أبواب النصر .

يظهر علي المسرح ممثلة ترتدي فستاناً أخضر اللون .

ممثلة ٤: عبرت القوات المسلحة المصرية قناة السويس واستولت علي خط بارليف الحصين وقواتنا الأن تتعمق زحفا داخل سيناء لتحريرها .

ممثل ٦: رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه إنهم جنود الله في الأرض.

صوت : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) ﴾

ممثلة ٤: يا جنود مصر البواسل تقدموا للأمام لكي تحرروا وتستردوا لنا أرض مصر الغالية التي سلبت في يونيو ٦٧..
يا جنود مصر البواسل لا تنسوا أرض مصر التي سلبت عام ٥٦ .

ممثل ٦: يا جنود مصر لا تنسوا شرم الشيخ مدخل خليج العقبة يا جنود مصر لا تنسوا أم الرشراش هذا المثلث المصري الذي أحتل عام ٥٦ وأقامت إسرائيل عليه ميناء العقبة. الحربي وأطلق عليه ميناء إيجال آلون.

ممثلة ٤: يا جنود مصر البواسل لا تنسوا أولى القبلتين وثانى البيتين وثالث الحرمين لا تنسوا قبة الصخرة .. يا جنود مصر البواسل لا تنسوا مكان معراج رسولنا العظيم إلي سدرة المنتهي .

ممثل ٦: عبرنا البحر كما عبر موسي بتوفيق وإلهام إلهي لأن الله معنا .. كما كان مع موسي عليه السلام .

صوت : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧) ﴾

ممثلة ٤ : قاتلنا اليهود ونحن علي حق ولم يستطع فرعون وجنوده قتالهم ..لأنه كان علي الباطل بل هو الباطل ذاته .

ممثل ٦ : على نفس الأرض سيناء .. أرض جبل الطور .. وفوق نفس البحر بحر القلزم.. البحر الأحمر.. وبنفس الشعب المصرى.. المصريين ولكن .. ولكن !!

ممثلة ٤ : ولكن إيماننا اليوم قهر اليهود كما قهر إيمان الكليم فرعون وجنوده .. فراعنة اليوم مع الله ويهود اليوم مع الشيطان .

صوت : ﴿**إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ**﴾.

ممثل ٦ : قديما قال الشاعر .

وخير الشعر أكرمه رجالا .

وشر الشعر ما قال العبيد .

يخلي المسرح من الممثلين والممثلات وتعزف موسيقي مارش النصر لفردي الموسيقار العظيم في أوبرا عايدة. وتتألق الأنوار ويزداد الضوء بريقا ولمعانا يتقدم رقيب بملابس الميدان العسكرية حتي إن وصل وسط المسرح ووقف بمفرده وفي يده أوراق .

صوت : إنه خير الأخيار .. إنه الجندي الذي حطم أكثر من عشرين

دبابة من دبابات العدو الصهيوني .. إنه صائد الدبابات إنه الرقيب محمد عبد العاطي الحاصل علي نجمة سيناء العسكرية من الدرجة الثالثة .

فيتقدم الرقيب خطوة إلي الأمام وأخذ يقول

مصر بلادي .. مصر بلادي

شموس ونجوم ضياء للعرب

لك مني ولاء أنت الولاء

أنا وأرضك وفاء أنت الوفاء

شعبك وأنت رجاء أنت الرجاء

قلوب .. عقول .. دماء

فداء الوطن

مصر بلادي مصر بلادي

سيوف وغصون سلام للبشر

روحي سماك ربي علاك

فكري هواك ربي معاك

جسدي ثراك ربي عطاك

أطفال .. رجال .. شباب

نداء الوطن

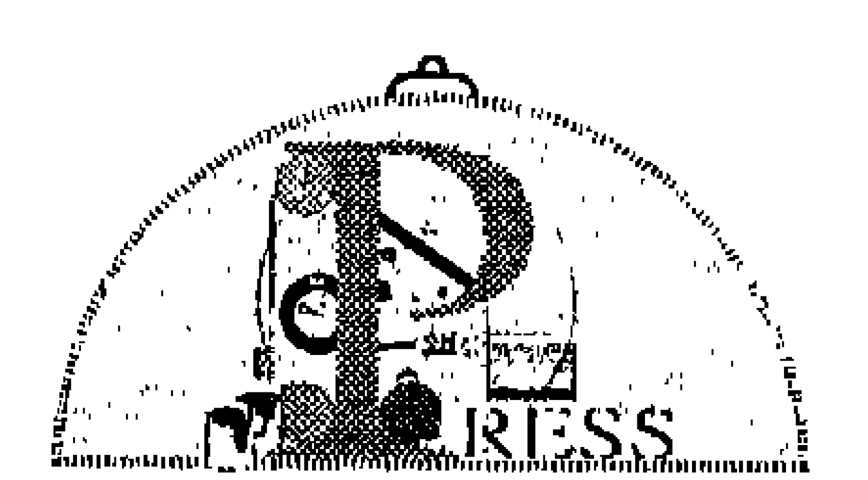
يامصر

الفهرس

رقم الإيداع ١٤٩٩٣

٢٠٠٠/٩/١٨

تم بحمد الله



٢٠ ش الجامع الإسماعيلي - ت : ٧٩٦٢٣٦٤
محمول : ٠١٠/١١١٨٨٨٤ - ٠١٢/٢١١٧٣٠٦

المدير العام
سمير الطويجي


الحصن ١٠١
• قدرى محمود الضابط
المصرى الأسير فى حرب
وهزيمة يونيو ٦٧ .. الذى
أمسى فى الحصن ١٠١
إسحاق إلياهو إسحاق
الضابط الإسرائيلى القتيل
فى حرب ونصر أكتوبر ٧٣ ..
• يا ترى هل نجح قدرى أم
إسحاق فى تنفيذ العملية
العسكرية (ق) للاستيلاء على
الحصن ١٠١؟
• العملية
مهولة الأحداث
بعيدة المدى ..
• داخل هذه القص
وقائع وتواريخ تلك
سيناء
بورفؤاد
رمانة
فاطمة
مزار
القنطرة
الاسماعيلية
الطاسة
جبل المغارة
بئر روض سالم
بئر الجفجافة
البحيرة المرة الكبرى
جبل يلق
جبل سحابة
السويس
بورتوفيق
عيون موسى
جبل عتاقة
جبل بضيع
رأس سدر
الجلالة البحرية
رأس زعفرانة
أبو زنيمة
الجلالة القبلية
جبل غارب
رأس شقير
رأس دب
جبل دارة
جبل الزيت
0646056
قرش جنيه
٧ ٠٠ ج